مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلّةٌ - إسلامِيّةٌ - ثقافِيّةٌ - جامِعةٌ - مُحكمَةٌ

تَصدُرُ سَنوِيّاً عَن

كُليّةِ الدّعوةِ الإسلامِيّةِ

العددان الواحد والثلاثون والثاني والثلاثون

لسنة 1439 – 1440 الهجرية الموافق: 2017 – 2018 الميلادية

الخطاب الدَّعوي - واقعه وأساليب تطويره

د. عبدالرزّاق درغام أبوشعيشع عيسى
الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن - ليبيا

إنَّ الخطاب الدَّعوي لون من ألوان الجِهاد في سبيل اللَّه، ووقوف في وجوه أعداء الإسلام، ومن أجل ذلك وَجَب على الدُّعاة أن يُدركوا هذا الدَّور العظيم، ويفقهوا رسالتهم، وقد تميَّز هذا الخطاب عن غيره بأنَّه من وسائل نَشْر الدَّعوة الإسلاميَّة، فلا يختصّ بأحد دون أحد، ولا طبقة دون غيرها، فجميع النَّاس يستمعون إليه، مَنْ كان ذا ثقافة أو لم يكن، يستطيع الدَّاعية من خِلاله التأثير فيهم ولا سيَّما أنَّهم الأعداد الهائلة الَّذين يحضرون باختيارهم راغبين غير مُكرهين.

ولقد تنوَّعَت الخِطابات الدَّعويَّة في بداية عهد الإسلام، فكانت تَتَنَوَّع لِتُناسِبَ كُلَّ بيئة، فهُناك تطوُّرات طبيعيَّة فطريَّة في الخطابات الدَّعويَّة، تُلائِم واقع كُلّ بيئة، بِمَا يصلحه ويُهذِّبه ويطوِّره.

وقد ظَلَّ الخِطاب الدَّعوي قويّاً مؤثراً يُحرِّك الناس ويحفز هِمَّتهم فترة من الزَّمن؛ لأنَّه كان يحمل عوامل النَّجاح والتطوُّر، سَواء من ناحية الخطيب الذي كان يُلقيه، أم من ناحية الموضوع الذي يختاره والإعداد الجيِّد، ولكن أتى على هذا الخطاب زمان ضَعُف فيه، ولم يؤثر في كثير من المدعوِّين، ولم يبالِ الكثير من الخُطباء بما يقولون، واتَّخذوه وظيفة ولم يتَّخذوه رسالة؛ فقلَّ تأثيرهم في النَّاس، ولم يَعُدْ لهم هَيْبة مثل العُلماء السَّابقين.

كما أنَّ هُناك علاقةً وطيدة تربط الدَّعوة بالإبداع؛ فالدَّعْوة إلى اللَّه ليست كلمات أو شعارات، أو خُطباً أو مؤلفات، أو ندوات تُقال هُنا وهُناك، بل هي رسالة إصلاح شامل، يوظَّف الدِّين والدُّنيا وثورات الحياة وتقلُّباتها في العمل للآخرة؛ كي يَحْظَى الإنسانُ بالخُلُود في النَّعيم الأَبَدي، ويسعد في الدُّنيا والآخرة، فالسَّعادةُ الأُخْرويَّة تُهَوِّن كُلَّ مصاعب الحياة لِمَن عاشوا في الدُّنيا غُرباء.

وقضيَّة تجديد الخطاب الدَّعوي قضيَّة قديمةٌ مُتجدِّدةٌ دائماً، وزاد من جدَّتها عَصْر العَوْلمة وسُقوط الحُدود بين الدُّول، وانتصار النزعة الإنسانيَّة، والدَّعوة إلى حضارة إنسانيَّة واحدة، تقوم بعمل مُصالحة للإيديولوجيَّات المُتعدِّدة في إطار إنساني واحد، ومن أهمِّ التوجُّهات المُعاصرة إليه باعتباره إنساناً وإعطاؤه كُلّ حُقوقه الدِّينيَّة والاجتماعيَّة بغضِّ النَّظر عن انتماءاته[1].

وتُعدُّ عمليَّة تجديد الخطاب الدَّعوي عمليَّة مُستمرَّة وليست وقتيَّة أو موسميَّة فالحياة مُتجدِّدة باستمرار، والمُتغيِّرات من حَوْلنا لا تكفّ عن الحَرَكة، ومن الطبيعي أنْ يكون الخطاب الدِّيني مواكباً لظُروف كُلّ عَصْر ولما يدور فيه من مُتغيِّرات[2].

ومن حِرْصي على تطوير الخطاب الدَّعوي أردت أنْ أُسهم ببحث في كيفيَّة الارتقاء به، عَسَى أنْ تكون هذه الكلمات موضع التنفيذ والتطبيق، وتكون خطْوة على طريق التغيير والإصلاح، والرُّقي به نحو التَّقدُّم والنَّجاح، وجعلت عُنوانه: (الخطاب الدَّعوي واقعه وأساليب تطويره).

أهمِّيَّة البحث:

ترجع أهمِّيَّة البحث إلى عدَّة اعتبارات، منها:

(1) تجديد الخطاب الدِّيني.. وأسئلته. وإجاباتها، إكرام لمعي، **جريدة الأهرام**، بتاريخ 8 مارس 2002.

(2) **تجديد الخطاب الديني لماذا، وكيف**، محمود حمدي زقزوق، ط: وزارة الأوقاف المصريَّة، ص5.

1 - أنَّ الخطاب وسيلة من وسائل التواصل مع أفراد المُجتمع ولمُختلف الأغراض.

2 - أهمِّيَّة الخطاب الدَّعوي ومسؤوليَّته في التعريف بصحيح الدِّين وتفنيد أيةِ دعاوى كاذبة لأعداء الإسلام.

3 - يُعتبر الخطاب الدَّعوي المُكوَّن الأساسي للعقل العربي المُسلم، ويُشكِّل المصدر الرئيس لوعي الآخر بالإسلام.

4 - تُعدّ قضية تطوير الخطاب الدَّعوي إحدى القضايا المُهمَّة التي شغلت عقل النُّخبة من السَّاسة والعُلماء والمُفكِّرين المسلمين الذين أدركوا عدم مُسايرتهم للعصر.

5 - حاجة الخطاب الدَّعوي إلى المُراجعة والمُتابعة والتطوير بصِفة مُستمرَّة؛ لأنَّ العالم يتغيَّر بمتواليات أكبر من المُتواليات الهندسيَّة، ويُحقِّق في اليوم ما لم يمكن تحقيقه في عُقود.

أهداف البحث:

1 - التعرُّف على واقع الخطاب الدَّعوي وأهمّ أساليب تطويره.

2 - دراسة أبرز أساليب تطوير الخطاب الدَّعوي في المساجد ووسائل الإعلام المُختلفة.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى أربعة مباحث وخاتمة.

أمَّا المبحث الأول فتناولت فيه التعريف بالخطاب الدَّعوي وواقعه وضرورة تطويره.

وأمَّا المبحث الثَّاني فتناولت فيه مُراعاة حال المدعو.

وأمَّا المبحث الثَّالث فتناولت فيه مُراعاة الأولويَّات.

وأمَّا المبحث الرَّابع فتناولت فيه الإعداد الجيِّد للدُّعاة.

وأمَّا الخاتمة فدوَّنت فيها بعض النتائج وأهمّ المُقترحات، ثم مصادر البحث ومراجعه.

المبحث الأوَّل
واقع الخطاب الدَّعوي وضرورة تطويره

أوَّلاً - تعريف الخطاب لُغةً:

جاء في لِسان العرب أنَّ «الخِطاب هو مُراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مُخاطبة وخطاباً، والمُخاطبة مُفاعلة من الخطاب»[1]. وجاءت مادَّة (خطب) في عدة مواضع من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[2]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[4].

ثانياً - تعريف الخِطاب اصطلاحاً:

يُستعمل لفظ الخِطاب اصطلاحاً بمعان شتَّى تبعاً لطبيعة الموضوع الذي ينصبّ عليه الخِطاب، وتبعاً للأغراض التي يَسْعى إلى تحقيقها[5].

فالخِطاب هو «كُل ما كتبه أو قاله أو علَّق عليه شخص ما»[6]، أو «هو كلام مُوجَّه إلى مُتلقٍّ بقصد الإقناع والتأثير أو المُشاركة الكلاميَّة بين طرفي

(1) **لسان العرب**، لابن منظور، مادة «خطب».
(2) سورة ص، الآية: 20.
(3) سورة الفرقان، الآية: 63.
(4) سورة هود، الآية: 37.
(5) **الخطاب الديني والواقع المعاصر**، أحمد عبد الرحيم السايح، سِلْسِلة قضايا إسلاميَّة، القاهرة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، العدد 128، 2005، ص9-10.
(6) **تحليل الحقل الأيديولوجي للخطاب الساداتي**، عبد العليم محمد، القاهرة، كتاب الأهالي رقم 27، 1990، ص14.

الاتِّصال حِواراً أو مُشافهة أو كتابة»[1]، أو هو «مجموعة من النُّصوص التي تُشكِّل خِطاباً أو فكراً»[2].

وقيل هو: «كل نُطق أو كتابة تحمل وجْهة نَظَر مُحدَّدة مِنَ المُتكلِّم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السَّامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مُجْمل الظروف والمُمارسات التي تمَّ فيها»[3].

ويُمكن أنْ يُعرف بأنه: الرسالة التي نزلت من فوق سبع سَمٰوات عن طريق الوحي؛ لتنظيم عَلاقات البَشَر مع خالقهم وأنفسهم وغيرهم، وهذا الخِطاب هو الذي يُحدِّد المَصْلحة من المَفْسدة، والصَّالح من الطَّالح، والمُستقيم من المُعوج، والمؤمن من الكافر، والصَّواب من الخطأ، ويقرِّر السِّلم من الحَرْب، وهو المِيزان الذي يفصل في ميزان الخَلْق إلى الجنة أو النار، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو محفوظ بحفظ اللَّه إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[4].

وأمَّا الدَّعوي: فهو منسوب إلى الدَّعوة التي عُرفت بتعريفات عدَّة: أمَّا الأوَّل فبمعنى الدِّين. فقيل في تعريفها: «هي النظام العام والقانون الشامل لأُمور الحياة ومناهج السُّلوك للإنسان التي جاء بها محمد ﷺ، وأمره ربّه بتبليغها إلى النَّاس، وما يترتَّب على ذلك من ثواب أو عِقاب في الآخرة»[5].

وأمَّا الثَّاني فبمعنى النَّشر فقيل هي: «العِلْم الذي نعرف به كافَّة

(1) **خطاب السلطة الإعلامي**، محمود عكاشة، الأكاديميَّة الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1: 2005، ص12.

(2) **الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية**، محمد عابد الجابري، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1988، ص20.

(3) «تأويل الخطاب الدِّيني في الفكر الحداثي الجديد»، أحمد عبد الله الطيَّار، **حولية كلِّيَّة أُصول الدِّين**، القاهرة، العدد (22)، 2005م، ص12.

(4) سورة الحجر، الآية: 9.

(5) **الدعوة الإسلاميَّة أُصولها ووسائلها**، أحمد غلوش، ط: دار الكتاب المصري، 1987، ص13.

المُحاولات الفنِّيَّة المُتعدِّدة، الرامية إلى تبليغ النَّاس الإسلام بما حَوَى من عقيدة وشريعة وأخلاق»[1].

والتـطويـر: هو الاستعانة بأساليب جديدة لعرض الإسلام بما يجعله يواكب ويُناسب المُجتمعات المُعاصرة من مُسلمين وغير مُسلمين، تجديداً يتَّسع مفهومه؛ ليشمل أُسلوب الدَّاعية، ومناهج الدَّعوة ووسائلها، وهو تجديد يحفظ للإسلام أصالته ومُرونته في آن واحد، وهو وليد وسطيته، ودليل من أدلَّة شموليَّته وخُلُوده[2].

ثالثاً - واقع الخِطاب الدَّعوي

الناظر إلى واقع الخِطاب الدَّعوي يجد الضُّعف والفُتور دبَّ إليه، ويتجلَّى ذلك فيما يلي:

1- عدم التزام كثير من الخُطباء بالأُصول العِلْميَّة للخِطاب؛ حيث تجد أحدهم يجعل لخِطابه الواحد موضوعات شتَّى، تدور حول الفضائل والرذائل مُبشِّرة ومُنفِّرة، وهذا يدلّ على الإفلاس العِلْمِي لدى هذا الخطيب، فيترتَّب عليه تشتيت ذهن المُستمع، فلا يخرج بفائدة؛ لأنَّه بمُجرَّد أنْ يركِّز في موضوع يجد الخطيب قد انتقل إلى آخر، وينتهي الخِطاب بعدم مُعالجة أي قضيَّة تعرَّض لها مُعالجة عِلْميَّة.

2- عدم مُراعاة الخِطاب للمُستمعين في كثير من الأحيان، وهذا راجع لفرض خطبة واحدة على جميع الخُطباء - إن كان هذا الخطاب يتعلق بخطبة الجمعة- في سائر أقاليم البلد الذي يعيشون فيه.

3- عدم إدراك كثير من الخُطباء حال المُستمعين، إمَّا لضُعف بضاعته، أو عدم دراسته لأحوال هؤلاء المُستمعين؛ لأنَّه ربَّما يكون ليس من هذه البيئة التي يعيش فيها المَدْعوون.

---

(1) المصدر السابق، ص10.

(2) **أساليب تطوير الخطاب الديني في القنوات الفضائية العربية**، صالح السيد عراقي: html. blank3/tv. egyptradio.www//:http

4- اعتماد كثير من الخُطباء على الإسرائيليَّات، والقصص الواهية والأحاديث الموضوعة؛ لأنَّها في نظرهم ذات تأثير كبير على النَّاس، بما تحمله من مواقف مؤثرة؛ حيث إنَّهم يُريدون أنْ ينالوا إعجاب النَّاس ورضاهم.

5- اعتماد بعض الخُطباء على خِطابٍ كُتِب منذ فترة بعيدة، لزمن ومكان وبيئة مُعيَّنة، مُتناسين أنَّ لكُلّ عصر أحداثه، ولكُلّ قوم ثقافتهم وقضاياهم التي تهمّهم، فتجد الخطيب يُعالج أمراً ليس موجوداً في عَصْره ولا بيئته، فهذا يُحدث فَجْوة بينه وبين الناس.

6- قلَّة بضاعة بعض الخُطباء من فَهم وحِفظ كتاب اللَّه -عز وجل- ومُدارسة سُنَّة النبي ﷺ والثقافة الإسلاميَّة، فتجد بعضهم لا يُحسن قراءة القرآن، ولا يستطيع أنْ يُميِّز بين الحديث الصَّحيح من الموضوع، فيقول ويكتب كُلّ ما يجده بين يديه من كُتب جمعت بين الغثّ والسَّمين.

7- فُقدان الشُّمولية؛ حيث تجد كثيراً من القائمين على أدائه يركِّزون على جانب مُعيَّن، كالحديث عن العقيدة أو الدَّار الآخرة، وترك الجوانب الأُخرى، وهذا يُحدث قُصوراً في أدائهم؛ لأنَّه من المُفترض فيه الشُّموليَّة؛ لأنَّ «الإسلام رسالة شاملة، وقد يُعبّر عنه بنظام شامل؛ لأنَّ هُناك من يسعون إلى تفكيك الإسلام وتجزئته، ومن يُريد أنْ يحذف من الإسلام الكثير من تعاليمه، فيُريدونه سلاماً بلا جهاد، زواجاً بلا طَلَاق، عقيدةً بلا شريعة، عبادةً بلا مُعاملة، يُريدون أنْ يأخذوا من الإسلام ما يَحْلو لهم، ويحذفوا منه ما لا يروق لهم، والإسلام يجمع بين الدُّنيا والآخرة، بين الرُّوحانية والماديِّة، بين المِثاليَّة والواقعيَّة، التي تشمل شؤون الفَرْد والأُسرة والمُجتمع، وشؤون الأُمَّة والدَّولة، وشؤون العَلاقات الدَّولية، هذه رسالة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[1]، تبيانًا لكُلّ شيء من ربّ كُلّ شيء»[2].

(1) سورة النحل، الآية: 89.

(2) **شمولية الإسلام، نشأة الفكرة ومستقبلها**، يوسف القرضاوي، موقع: القرضاوي.

8- فُقدان التَّخطيط في كثير من الأحيان، وإنَّما يكون بِحَسب الاجتهادات الفَرديَّة، واستجابة فَوْرية للأحداث الطَّارئة والنوازل غير المُتوقَّعة، دون توقُّع للاحتمالات وَرَصْد للحُلُول المُناسبة لها عَبْر الخِطاب الدَّعوي الحكيم، ولعَّل من أسباب ذلك انعدام المَرْجعيَّة العِلْميَّة التربويَّة، وتغليب العاطفة على العِلْم، وغِياب المؤسسيَّة، وضعف الانتماء الحركي الضابط لسَيْر الدَّعوة.

9- خِطاب تقليدي في أكثره؛ حيث يُخاطب النَّاس بأُسلوب مُبسَّط وغير جذَّاب؛ بل رتابته كفيلة بِصَرف النَّاس عنه، بالإضافة إلى الموضوعات التقليديَّة التي يتمّ تناولها في خِطابه، فهي موضوعات حُفظت لدى المُخاطبين؛ بِسَبب تكرارها وطريقة عَرْضها، وهذا جَلِي عند غير المُتخصِّصين الذين يتولّون أداء خُطبة الجُمعة بالأخصّ، والذين يظهرون في الإعلام الخاصّ، فتجد بضاعة أحدهم قليلة وخُطبه معدودة، فلا تغيير فيها حتَّى في حال إعادتها، فتجد ما قاله من عامين يُكرِّره وبالكلمات نفسها والبداية والنهاية؛ حتى إنَّ المُستمع يعلم ما يقوله الخطيب مُسبقاً إذا عَرف عُنوان الخُطبة، ونَتَجَ عن هذا إعراض كثير من النَّاس عن هذا الدَّاعية وأمثاله.

10- خطاب مُتأطِّر بأُطر مُحدَّدة، وهذه آفة وَقَعَ فيها بعض الدُّعاة مُحاولاً إقناع النَّاس بما ينتمي إليه من فكر أو حزب أو جماعة أو طريقة، كأنَّه يدعو لما يعتنقه، ولا يدعو إلى الإسلام، وينظر إلى المُخالف كأنَّه على باطل ما دام على غير مَنْهجه، وأصحاب هذه الأُطر -في الغالب- لا يخرج خِطابهم عن حُدود الجماعة أو الحزب أو الطائفة، ولا يصدر إلَّا عن فكرها أو برنامجها؛ ولذا ربَّما يَشْعر المُخاطبون بالجانب التحيُّزي أو المَيْل المَصْلحي في الخِطاب؛ فينصرفون عن الاستماع إليه أو العمل بِمَا وَرَدَ فيه، وكأنَّ المُراد هُنا بعبارة أُخرى: الشُّعور بعدم الإخلاص في الخِطاب الدَّعوي، فهو خِطاب ما أُريد به وجه اللَّه.

11- خِطاب جُلّه نقدي، فقد أحس بعض الدُّعاة أنَّه بلغ الكمال في العبادة

والإيمان والورع فيظهر ذلك في خِطابه فلا يكفّ عن النَّقد لمُستمعيه، وكأنَّه ليس من المُجتمع، وقد سمعت مرَّة خطيباً لم يكف في خطبته عن نقد الجُمهور، وكان من بين حديثه: انتشر فيكم الزنا، وتعاملتم بالرِّبا، ومنعتم الصَّدقة، وخَرَّبتم المَسَاجد، وانصرفتم عن مجالس العِلْم، فعندما خرجنا من المَسْجد عرَّفته بنفسي وتعرَّفت عليه، ثم قُلت له: مَنْ الذي كان يستمع إليك؟ وَمَنْ الذي بَنَى هذا المَسْجد؟ وَمَنْ الذي يكفل اليتامى؟ وَمَنْ الذي يقوم بالإصلاح بين النَّاس؟ إنَّهم الذين يستمعون إليك؟ إنَّها نظرة استعلاء من الخطيب، وهذا يجعل بينه وبين النَّاس حاجزاً.

12- ضعف الاستفادة من الوسائل الحديثة، فالدَّاعية النَّاجح لا يترك وسيلة لعرض دعوته وَكَسْب الأنصار لها إلا استعملها، وهو يستفيد من كُلّ ما أُتيح له من وسائل حديثة، ومن مُستجدَّات العَصْر في الدَّعوة إلى اللَّه؛ فهو يدعو عَبْر القَنَوات الفَضَائيَّة، وعن طريق شبكة المعلومات الدَّوليَّة (الإنترنت)، وكل ما يُستجد من وسائل وتقنيَّات حديثة، ولا يحْصُر نفسه في دائرة ضيِّقة من الوسائل، مع الحِفاظ على ثوابت الدَّعوة وأُصولها، والدَّاعية النَّاجح يأخذ بالتنوُّع في وسائله الدَّعويَّة بِمَا يتناسب مع الزَّمان والمكان والأشخاص والأحوال، وشعاره: أُمرنا أنْ نُخاطب النَّاس على قَدْر عُقولهم[1].

لكُلّ ما سَبَق كان لِزَاماً على الدُّعاة أنْ يسعوا لتطوير خِطابهم الدَّعوي بما يتلاءم مع حال المُجتمع الذي يعيشون فيه، وخاصَّة في عَصْر الثَّورة المعلوماتيَّة التي عَمَّت العالم أجمع.

رابعاً - ضرورة تجديد الخِطاب الدَّعوي

من المعلوم أنَّ الدِّين له ثوابت لا يجوز المَسَاس بها، ولكن يتغيَّر أُسلوب عَرْضها، ومن هُنا فَعَرْض الثوابت في الخِطاب الدِّيني يختلف من زمن

(1) معالم أساسيَّة لانطلاقة الدَّاعية، **مجلّة المجتمع الكويتية**، 4-7-1422هـ.

لآخر، ومن بيئة لأُخرى، ومن قومٍ لآخرين، كما يتضمَّن الدِّين مُتغيِّرات تقبل التجديد والاجتهاد.

والتطوير في الخِطاب الدَّعوي مشروع، يدلّ على هذا أنَّ الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- لم يسيروا على وتيرة واحدة في الدَّعوة، ولكنَّهم غيَّروا من الأساليب والوسائل.

«إنَّ تجديد هذا الخطاب ضرورة فطريَّة وبشريَّة؛ لأنَّ الخِطاب الدِّيني الحالي مُفكَّك وفَرْدي؛ في حين يشهد العالم تجمُّعات وتطوُّرات هائلة في مَجَال التقنيَّة والمعلومات والاختراعات، وأعتقد بأنَّ أيَّة نهضة أو تنمية في العالم الإسلامي، التي يُنادي بها المُخلصون من دُعاة الإصلاح، إنْ لم تَصْدر من مفهوم ديني فهي مَحْكوم عليها بالفشل، فلا بدَّ من خِطاب ديني واعٍ ومُعاصر ومُنضبط، يستطيع أنْ يضع هذه النَّهضة ويُساعد عليها، ويدفعها لإخراج الأُمَّة من هذا التِّيه والدَّوران الذي تدور فيه حَوْل نفسها»[1].

إنَّ فكْرة التجديد في الخِطاب الدَّعوي ليست أمرًا مرفوضًا في الدِّين؛ فالقرآن الكريم لا يرفض قضيَّة التجديد في مسائل الدَّعوة إطلاقًا.

لكن ينبغي أنْ نُفرِّق بين النَّص الشَّرعي والفعل البشري؛ فالنُّصوص الشرعيَّة مُتناهية؛ أي: ثابتة لا مجال للخوض فيها، والأفعال البشريَّة التي هي اجتهادات مجموعة من العُلماء، مُتغيِّرة تبعًا لتغيُّرات الزمان والمكان والقُدرة والأشخاص، فَفَتْوى المريض تختلف عن فَتْوى الصَّحيح، وفَتْوى المُسافر تختلف عن فَتْوى الحَاضر، وفَتْوى الجادّ تختلف عن فَتْوى المُستهتر.

وقال علي ﷺ: «حدِّثوا النَّاس بما يعرفون، أتحبُّون أنْ يُكذب اللهُ ورسولُه»[2]، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنَّ عبد الله بن مسعود ﷺ

(1) **تجديد الخطاب الديني**، د. سلمان بن فهد العودة، موقع: الإسلام اليوم.

(2) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب: العلم، باب: من خصَّ بالعِلْم قومًا دون قوم كراهية أنْ لا يفهموا، حديث: 127.

قال: «ما أنت مُحدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عُقولهم إلَّا كان لبعضهم فِتْنة»[1].

قال ابن حجر: «ومِمَّن كَرِه التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخُروج على السُّلطان، ومالك في أحاديث الصِّفات، وأبو يوسف في الغرائب، وضابط ذلك أنْ يكون ظاهر الحديث يقوِّي البِدْعة، وظاهره في الأصل غير مُراد، فالإمساك عنه عند من يُخشَى عليه الأخذ بظاهره مطلوب»[2].

قال ابن القيم مُحذِّراً من الوقوف على ما جاء في الكتب فقط: «ولا تجمد على المنقول في الكتب طول عُمرك؛ بل إذا جاءك رجل من غير إقليمك يستفتيك لا تُجْرِه على عُرف بلدك، وسَلْه عن عُرف بلده فأَجْره عليه، وأفْته به دون عُرف بلدك والمذكور في كُتبك، قالوا: فهذا هو الحقّ الواضح، والجُمود على المنقولات أبدًا ضلال في الدِّين، وجهل بمقاصد عُلماء المُسلمين والسَّلف الماضين».

ثُمَّ بَيَّن أثر ذلك وضرره فقال: «ومن أفتى الناس بمُجرَّد المنقول في الكُتب، على اختلاف عُرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم، فقد ضلَّ وأضلَّ، وكانت جِنايته على الدِّين أعظم من جِناية من طبَّب النَّاس كُلّهم، على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم، بما في كتاب من كُتب الطِّب على أبدانهم؛ بل هذا الطبيب الجاهل وهذا المُفتي الجاهل أَضَرُّ مَا [يكون] على أديان النَّاس وأبدانهم»[3].

وبعض الدُّعاة لا يعترف بضرورة التجديد؛ بل يُريد أنْ يبقى كُلّ شيء كما كان يعهد، فليس في الإمكان أفضل ممَّا كان، إيثارًا للإلف وتوجُّسًا

(1) أخرجه مسلم في **صحيحه**، المُقدمة، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع، 1/ 10.

(2) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، باب: من خصَّ بالعلم قومًا دون قوم، ج1، ص203.

(3) **إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية**، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1411هـ/ 1991م، (3/ 66).

وارتيابًا من كُلّ جديد، فهو يُفضِّل ألف مرة أنْ يبقى فكره وخِطابه ولُغته وطريقته وعِلْمه مُترهِّلاً على أنْ تناله يد التجديد، أو تطاله بواعث التحديث؛ وهذا مظهر من مظاهر الضعف والخور، والهزيمة النفسيَّة، كما أنَّ الارتماء في أحضان كُلّ جديد هزيمة نفسيَّة، فلا بدَّ إذن من التجديد، وإذا لم نؤمن بذلك فأمامنا خياران:

الأوَّل: الجُمود، ويعني ذلك الإطاحة بحقّ الحياة وسحقها، في عصر تكتنفه الحَركة الثائرة من كُلّ جهة.

الثاني: الذَّوبان؛ وذلك معناه الإطاحة بحقّ الدِّين والشريعة والثقافة والتُّراث.

إنَّ هذا التجديد يجب أنْ يكون بأيدي رجالات الإسلام، وعن طريق المُتخصِّصين الإسلاميين، ولا أقول بالضَّرورة: الفقهاء وإنَّما المُختصُّون على العُموم، ويجب أنْ تكون أدوات هذا التجديد ووسائله داخليَّة، تلمس مشاعره، وتتحدَّث من داخل إطاره، وعلينا أنْ نتَّفق على الضَّرورات والقواعد الشرعيَّة، والمُحكمات الدِّينيَّة الثابتة[1].

ونحن نعيش الآن في عالم مُتغيِّر تتسارع خُطاه في شتَّى الاتِّجاهات، وفي مرحلة راهنة حَفَلت بمُتغيِّرات مُتعدِّدة الأشكال والألوان مَسّت جوانب الحياة العِلْميَّة والثقافيَّة والفِكريَّة والدِّينيَّة، وكان لها تأثيرها الملحوظ في كثير من مضامين الأعمال الإنسانيَّة في شتى بِقاع العالم؛ بحيث لم يعد في مقدور مُجتمع من المُجتمعات أن يعيش بعيداً عنها أو ينعزل في دائرة محدودة من فكره وعاداته وتقاليده التي توارثها عَبْر الأجيال[2].

وتدعو طبيعة الإنسان وفطرته إلى التجديد والتطوير، بل تعتبر عمليَّة التجديد نسيجاً مُتلاحماً للفكر الإنساني على اختلاف التوجُّهات الفكريَّة

(1) **تجديد الخطاب الديني**، د. سلمان العودة.

(2) **تجديد الخطاب الديني لماذا وكيف؟**، محمود حمدي زقزوق، العدد 84، 2002، ص7.

والعقديَّة، وهو شريان من شرايين البقاء في الحياة على صُورة من العيش الكريم، ومُعايشة التطوُّر البشري بجميع أشكاله، وكُلّ مُحاولة للتجديد لا بُدّ لها من مُحرّكات فكريَّة وعقديَّة وثقافيَّة وحضاريَّة، تُشكِّل الأساس الذي تتحرَّك منه، والقاعدة التي تسير عليها، وتُعطي معرفة بأهداف هذا التجديد، والغرض من وراء تلك العمليَّة التجديديَّة[1].

إنَّ التطوُّر سُنَّة الله في خَلْقه، فهو قانون الخَلْق الثابت في مظاهره المُختلفة، فالنُّطفة تنتقل في الرَّحم من طَوْر إلى طَوْر حتى يخرج الطِّفل إلى الوجود، ثم يمرّ بأطوار الخَلْق إلى أنْ يصير شيخاً فانياً، وكذلك حَضارات الأُمم وقوَّتها وعُلومها وثقافتها تبدأ يسيرة هيِّنة ثم تتدرَّج حتى تبلغ الغاية، ثم تعود أدراجها إلى الضّعف تارة أُخرى، وإذا كان التطوُّر أمراً ثابتاً في الخلق وفي جميع مظاهر الحياة والكَوْن، ويشمل جميع مظاهر النشاط الإنساني، كان لا بُدّ أنْ يقع التطوُّر في مَنْهج الدَّعوة تبعاً لذلك[2].

والتطوير في الخِطاب الدَّعوي لا يعني الإتيان بشيء جديد في الدِّين، بل المقصود به تطوير الوسائل الدَّعوية، ومن حِكمة الداعيَّة وفطنته أنْ يواكب تطوُّر الوسائل، وبخاصَّة في هذا العَصْر، وألّا يتخلَّف عن ركبها واستعمالها، لِما لها من أثر كبير في توسيع إطار الدَّعوة وتوضيحها بل عليه أنْ يبتدع فيها، وأنْ يُبدع في استخدامها ما استطاع، فإنَّ عَجَلة القطار إذا سارت لا ترحم من صادمها، ولا تنتظر من تأخَّر عنها[3].

فتطوير الوسائل الدَّعويَّة والتجديد والابتكار فيها أمر لا ينبغي أنْ يُنَازَع

(1) **الحداثة الإسلامية وتجديد الخطاب الديني ذاتيًا**، عبد القادر قلاتي:
http//: www.apfw.org/indexarabic.asp?fname=news5%Carabic5%C12808.htm

(2) **منهج الدعوة في واقعنا المُعاصر**، عبد الحميد هنداوي، دار الآفاق العربيَّة، ط1، 1427هـ/ 2006م، ص6.

(3) **منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر**، للشيخ عدنان بن محمد آل عرعور، ص403، بتصرُّف يسير.

في أهمِّيته؛ فهو يفتح مجالات جديدة للدَّعوة، ويُسهم في توسيع دائرة انتشارها وتأثيرها، ويُذهِب السآمة والمَلل، ويُجدِّد الهِمَّة والرُّوح لدى العاملين والدُّعاة.

ولكن ينبغي ألَّا تؤدي المُطالبة بالتطوير والتجديد والإبداع إلى احتقار البرامج والوسائل الدَّعويَّة التي ألفها النَّاس واعتادوها، وتركت آثارًا كثيرة في المدعوِّين، فهُناك من يُقلِّل من شأن توزيع الكتاب والشريط وبناء المساجد، ويدعو إلى تجاوزها والانطلاق إلى وسائل تُناسب تحدِّيات العَصْر، فلا هو أعطى من يستمعون إليه برامج ووسائل عَمليَّة، ولا هو ترك النَّاس يُسهمون في هذه الوسائل التي ربَّما لا يجيدون غيرها فيُزهِّدهم فيها، وقد رأوا ثمراتها من دُخول طوائف في الإسلام، واهتداء كثير من الفُسَّاق وصَلَاح أحوالهم، ونشر السُّنة والخير وتعليم العلم بين النَّاس[1].

إنَّ على دُعاة التطوير أنْ ينتقلوا من ضيق الرأي والمذهب والجماعة إلى سَعة الشريعة، مع أهمِّيَّة هذا كُلّه في العالم الإسلامي، ولكنَّني أدعو إلى الاعتصام بِسَعة الشريعة وبحبوحتها لتجديد الاجتهاد الإسلامي وتيسيره، يقول ﷻ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[2].

وتجديد الخِطاب هو العَوْدة بالإسلام إلى منهج الوسطيَّة والسُّمو الروحي، استجابة لنداء اللَّه فالعَوْدة بالإسلام إلى عَهْده الماضي لا تعني الجُمود، ولكن تعني الانطلاق والسَّعة.

وبعد عرض واقع الخِطاب الدَّعوي وضرورة تطويره أركز على أهمِّ الأساليب التي تكون سبباً في تطويره.

---

(1) تأمُّلات دعويَّة حول التجديد والإبداع، محمد بن عبد الله الدويش، مجلَّة **البيان**، العدد: 148، ص54، بتصرف يسير.

(2) **تجديد الخطاب الديني**، د. سلمان العودة. والآية من سورة النِّساء: 83.

المبحث الثَّاني
مُراعاة حال المَدْعو

المَدْعو هو الرُّكن الرئيس من أركان الدَّعوة إلى اللَّه ﷻ إذ ما شُرعت الدَّعوة إلَّا لأجله، وما أُرسلت الرُّسل إلَّا لدعوته؛ لذا يجب العِناية به ودراسة حالاته، والتصرُّف تُجاهه بِمَا يُناسبه، ممَّا يُقرِّره الشَّرع الحنيف.

فَمِن العَبَث الدَّعوي: أنْ يُلقى الكلام على عَوَاهِنه، بِدَعْوى التبليغ -مُجرَّد التبليغ- دون النَّظر إلى حال المدعوِّين، وأنْ يُؤمر بالمعروف ويُنهى عن المُنكر -مُجرَّد الأمر والنَّهي- دون معرفة واقعهم.

والمقصود بمُراعاة حال المدعو: أنْ يُخاطب المسلمون بِمَا ينفعهم، وبِمَا يقدرون على فعله، وبِمَا أوجبه اللَّه عليهم، ولا يُخاطبون بما لا ينفعهم في دين أو دنيا، ولا بِمَا يعجزون عن فِعْله، كأن يُفَصِّل لهم في أحكام ليست موجودة الآن، أو يخوض فيما حدث بين الصَّحابة ومن بَعْدهم من خِلاف واقتتال، مثيراً بذلك الفتن، أو يطرح عليهم شُبه الفِرَق الضَّالة، ثم يُحاول الردَّ عليها، وقد اندثرت هي وأصحابها.

ومن الخطأ الدَّعوي الواضح: ما يفعله بعض الدُّعاة، من عدم مراعاة أحوال المدعوِّين، فترى أحدَهُم يحفظ خُطبة جمعة، أو موعظة، أو يُعد مُحاضرة، ثم يُلقيها في كُلّ زمان ومكان، على كُلّ المدعوِّين، رَغْم اختلاف مُستوياتهم الإيمانيَّة، والعِلْميَّة، والعقليَّة.

وربَّما ألقى مُحاضرة أو خُطبة منقولة من قُرون دون أنْ يُغيِّر في مَضْمونها أو مُفرداتها، أو يُبدل في أُسلوبها سَواء كان المدعوُّون مُثقَّفين عُلماء، أو عَوامّ، وسَواء كان لها مُناسبة، أم لم يكن لها مُناسبة، ومن ثمَّ فيجب على الدَّاعية أنْ يدرك أنَّ المدعوِّين ليسوا في الاستجابة ولا في الفَهْم، ولَا في العِلْم، ولا في التديُّن سَواء، فمُخاطبتهم على حَدّ سَواء، ليست من الحِكمة في شيء.

لقد خَلَق اللَّه تعالى النَّاس على أصناف شتَّى، وطبائع مُتغايرة، فمنهم الكبير والصَّغير، والعالم والجاهل، والصَّحيح والسَّقيم، والفقير والغَني، والسَّيد والمسود، والطائع والعاصي، ويختلف النَّاس في أمزجتهم ومشاعرهم، ومُيولهم واتِّجاهاتهم، وكُلّ واحد من هؤلاء المدعوِّين يحتاج إلى مدخل خاصّ به، وأُسلوب يُناسب طبيعته في تغيير المُنكر، يختلف عن الأُسلوب الذي يُناسب غيره، ومن ثمَّ لزم مُناسبة المنهج للأحوال والأعمار والمُستويات، فلا يُعدّ المنهج سليماً إذا ساوى بين حالة الضَّعف وحالة القُوَّة، وحالة الصِّحَّة وحالة المرض.

وعلى كُلّ من يقوم بتغيير المُنكر أنْ يدرس المكان الذي يُغيِّر فيه المُنكر دراسة شاملة وموضوعيَّة، وأنْ يعرف مراكز الضَّلال ومواطن الانحراف معرفة كاملة ومُستوعبة وأن يُفكِّر في الأُسلوب الذي يتَّفق مع عقلية الناس واستعداداتهم، والذي يتلاءم مع مُستوى تفكيرهم ومَدَى استجابتهم[1].

ومنهم الذي يؤخذ بالترغيب، ومنهم الذي يتأثَّر بالترهيب، ومنهم المُسالم المُنصت، ومنهم المُجادل العنيد، ومنهم المُتعالم، ومنهم المُتجاهل، ومنهم القوي، ومنهم الضعيف، وقد يكون لبعضهم ظُروف مؤقتة، تمنعه من الإدراك، وتحول دونه ودون الاستجابة، كمصيبة مُفاجئة، أو خسارة فادحة، أو حالة نفسية مُعيَّنة. وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ مُقتضى الحِكمة، ونفع الخِطاب أنْ تُراعى هذه الجوانب، وأنْ يُهْتَمَّ بخِطاب كُلّ صِنف بِمَا يُناسبه، في إطار الشَّرع الحنيف.

والنَّاظر في أُسلوب القُرآن الكريم يجد: تنوُّعاً عجيباً في الأُسلوب، وتفاوتاً بديعاً في التناول، ومُعالجة ناجحة لكُلّ أصناف البشريَّة.

قال سيِّد قطب في الظِّلال: «كان هذا القرآن يُواجه به النُّفوس في مكَّة، ويروضها حتى تَسْلَس قيادها، راغبة مُختارة، ويرى أنَّه كان يواجه النُّفوس بأساليب مُتنوِّعة، تنوُّعاً عجيباً.. تارة يواجهها بِمَا يُشبه الطُّوفان الغامر، من

(1) **سِلْسِلة مدرسة الدعاة**، عبد الله ناصح علوان، ج1، ص326 بتصرُّف يسير.

الدَّلائل المُوحية، والمؤثِّرات الجارفة.. وتارَة يواجهها، بِمَا يُشبه السِّياط اللَّاذعة تلهب الحِسّ، فلا يطيق وقعها، ولا يصبر على لذعها! وتارَة يواجهها بِمَا يُشبه المُناجاة الحبيبة، والمَسارَّة الودودة، التي تهوي لها المشاعر، وتأنس لها القُلوب..! وتارة يواجهها بالهول المُرعب، والصَّرخة المُفزعة، التي تفتح الأعين على الخَطَر الداهم القريب..! وتارة يواجهها بالحقيقة في بساطة، ونَصَاعة، لا تَدَع مجالاً للتلفُّت عنها، ولا الجدل فيها.. وتارة يواجهها بالرجاء الصَّبوح، والأمل النَّدي، يهتف لها ويناجيها.. وتارة يتخلَّل مساربها، ودُروبها ومُنحنياتها، فيُلقي عليها الأضواء التي تكشفها لذاتها، فترى ما يجري في داخلها رأي العَيْن، وتَخْجل من بعضه، وتَكْره بعضه، وتتيقَّظ لحركاتها، وانفعالاتها التي كانت غافلة عنها!.. ومِئات من اللَّمسات، ومِئات من اللَّفتات، ومِئات من الهُتافات، ومِئات من المُؤثِّرات.. يَطَّلع عليها قارئ القُرآن، وهو يُتابع تلك المَعْركة الطويلة، وذلك العِلاج البطيء، ويرى كيف انتصر القُرآن على الجاهليَّة في تلك النُّفوس العصيَّة العنيدة»[1].

وهكذا ينبغي أنْ يكون أُسلوب الدَّاعية مُتنوِّعاً، يتناسب وكُلّ موقف؟ ويتوافق مع كُلّ نفس، وما فيها؛ من قُدرات خِلْقيَّة، وصِفات مُكتسبة. غير مُغْفِل لحال المدعو، ولا لصِفاته الفطريَّة، ولا مزاياه الشخصيَّة.

ومن فقه الدَّاعية أنْ يراعي الظُّروف والأحوال الدعويَّة الفرديَّة والجماعيَّة، فإنَّ الأساليب الدَّعويَّة تختلف من ظرفٍ إلى ظرف، ومن حالٍ إلى حال، فأُسلوب العَمَل الدَّعوي مثلاً في دولة مُسلمة يختلف عنه في دولة غير مُسلمة، ويترتَّب على معرفة أحوال المُجتمعات وضع المنهج المُناسب لكُلّ مُجتمع من المُجتمعات، فالمَناهج والوسائل والأساليب التي تُستخدم في دعوة المُجتمعات التي اتَّخذت الإسلام شِعاراً لها تختلف عن المَناهج والوسائل والأساليب التي تستخدم في البلاد المُشركة أو حديثة العهد بالإسلام.

ولقد وجدنا رسول اللَّه ﷺ يُخاطب طَبَقات الناس كُلّاً حَسَب دينه

(1) **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ج6، ص3692-3693.

وعِلْمه، ومَدَى استجابته وحَسَب إمكانه، وكذلك الرُّسل من قَبْله -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، كانوا يُراعون أحوال المدعوِّين مُراعاة حكيمة، ويُعالجونها مُعالجة ناجعة، ومن جوانب مُراعاة حال المدعوِّين ما يلي:

أوَّلاً - مُراعاة مستواهم العقلي والثقافي والعِلْمي

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ لكُلّ مدعو مُستوى عقليّاً وعِلْميّاً، ويشترك النَّاس بعامَّة في بعض البيئات بمُستوى مُتقارب، في العِلْم والتفكير، فَعَلى الدَّاعية أنْ يُراعي هذه المُستويات، ويُخاطبهم بما يُناسبها.

فلا ينبغي له أنْ يتكلَّم في عامَّة أهل المَسْجد عن قضايا الذرة تفصيلاً، بدعوى وجود الإشارة إليها في القُرآن الكريم، أو يتكلَّم معهم في العقلانيَّات والفلسفة وعِلْم الكلام، أو يُحدِّثهم في قضايا عِلْميَّة رفيعة المُستوى، لا يفهمونها، كالخِلاف بين العُلماء في بعض قضايا العقيدة، أو في دقائق الأُمور، وما يُلقى في بعض الإذاعات من مِثل هذا يحتاج إلى إعادة نظر؛ لأنَّه يتجافى والحِكمة تجافياً كبيراً.

بل يُخاطبهم وما يتناسب مع جميع الحُضور والمُستمعين، فيشرح لهم الآيات الأُم والشاملة، أو يُعلّق على القصص القُرآنيَّة، أو يشرح لهم الأحاديث النبويَّة الجامعة، أو يُبيّن لهم الأحكام الكُلِّيَّة، حتى يتناسب خِطابه والجميع.

وأنْ يُدرك الدَّاعية مُستويات المدعوِّين العِلْميَّة، ويُخاطبهم بِمَا يُناسبهم، وبِمَا يحتاجون إليه.. فلا يُخاطبهم بما يَمَلّون من سَماعه، ولا بِمَا لا يحتاجون إليه.

والدَّاعية الحكيم، هو الذي يُخاطب المدعوِّين بما ينفعهم، ممَّا يُناسب مُستواهم العِلْمي، وعَلامة الحِكمة في ذلك: أنْ ينصتَ مُعظم المدعوِّين، وأنْ ينتفعوا بِمَا يسمعون.

وقُدوة الدُّعاة في مُراعاة أحوال المَدْعو رسول الله ﷺ فقد كان يُراعي أحوال المَدْعوِّين العِلْميَّة، فمن ذلك الأعرابي الذي بال في المَسْجد، وكشف عَوْرته فيه، وقام أصحاب رسول الله ﷺ ليقعوا فيه. لا شكَّ أنَّ تَصَرُّفَهم هذا

ليس من الحِكمة؛ لأنَّهم لم يُقدِّروا حالته من جهتين: حال كَوْنه جاهلاً، وحاله -وقتئذ- وهو حاقن، يُريد أنْ يبول، ولكن خير الدُّعاة -عليه الصَّلاة والسَّلام- أدرك حاله من الجَهْل، وأدرك أنَّه -ساعتئذ- في حالة خاصَّة، أمَّا الجَهْل: فدواؤه التعليم، وأمَّا الحالة الخاصَّة -التي كان عليها-: فعلاجها التأخير حتى يفرغ من بَوْله، ولو كان في المَسْجد، ولو كان كاشف العَوْرة؛ لأنَّ مَفْسدة قطعه من بوله أعظم من مَفْسدة ما يفعل. فضلاً عن أنَّه لن يستوعب ما سيُقال له.

لذلك بدأ رسول الله ﷺ بمُعالجة حاله، ونهى الصَّحابة أنْ يتعرَّضوا له، بل منعهم من أنْ يقطعوا عليه بَوْله، فقال: «دعوه وأريقوا على بَوْله دلواً من ماء أو ذنوباً من ماء، فإنَّما بعثتم مُيسّرين، ولم تُبعثوا مُعسّرين»[1].

إنَّ هذا الأعرابي جاء من البادية التي عاش فيها، ولا توجد لديهم مساجد، ولا يُدرك أنَّ لهذا المكان حُرمة وقُدسيَّة لا يليق به أنْ يُدنِّسهما بِبَوْله، ولمَعْرفة النبي ﷺ حال هذا الرجل أمر الصَّحابة أنْ يتركوه ليُكْمل بَوْله حتى لا يتسبَّب احتباس البَوْل فيه إلى ضَرر جَسَدي، وألم نفسي، وراعى حالة هذا الأعرابي، وهذا توجيه للدُّعاة بعد رسول الله ﷺ أنْ يدرسوا حالة المدعو حتى يُشخِّصوا الدَّاء ويَصِفوا له الدَّواء، ومن ثم تُثمر دعوتهم ثِماراً طيِّبة.

ولم يستجب النبي ﷺ لثورة أصحابه وهياجهم عليه، وعَرَّفهم أنَّ عِلاج الأمر سهل في مَسْجد لم يكن مفروشاً إلَّا بالحَصْباء، وهو صَبّ دلو من ماء، ثم نبَّههم على طبيعة رسالتهم التي كُلِّفوا حَمْلها للناس، وهي التيسير لا التعسير»[2].

ومِنْ مُراعاة أحوال المدعو الرّفق بالجاهل الذي لا يعرف الحُكم الشَّرعي كما حَدَث مع الرجل الذي لم يحسن صَلَاته، وعلمه النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلاً دخل المَسْجد يُصلِّي ورسول الله ﷺ في ناحية المَسْجد فجاء وسَلَّم على رسول اللَّه فقال له: «ارجع فصلِّ فإنَّك لم تصلِّ،

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**: كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: يسِّروا ولا تُعسِّروا، حديث رقم: 6128.

(2) **الرسول والعلم**، يوسف القرضاوي، ص27.

فرجع فصلَّى، ثم سلَّم فقال: وعليك السلام، ارجع فصلِّ فإنَّك لم تصلِّ ثمَّ قال في الثَّالثة علِّمني قال: إذا قمت إلى الصَّلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القِبلة فكبِّر، ثم اقرأ بما تيسَّر معك من القُرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم قُم حتى تطمئن قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صَلَاتك كُلّها»[1].

ففي هذه الواقعة رَاعى النَّبي ﷺ حال هذا الرجل في أنَّه لم يكن يحسن صَلَاته، فتكون صَلَاته غير صحيحة، فعلَّمه النبي ﷺ الصَّلَاة الصَّحيحة بأُسلوب هيِّن ليِّن ليس فيه كِبر ولا استعلاء.

ولقد تعلَّم الصَّحابة والتَّابعون هذا الأُسلوب من نبيِّهم ﷺ، فأخذوا بيد العاصي، وساروا به إلى شاطئ النَّجاة في الدُّنيا والآخرة، وأظهروا له الحُبّ والود فأحبَّهم؛ لأنَّهم لم يروا فيه إلَّا كُلّ خير ونفع للمُسلمين والبشريَّة أجمعين، فهذان شابان تربَّيا في بيت النبوَّة، وترعرعا في حِجْر المصطفى ﷺ هُما: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وابنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. «نظرا ذات مرَّة إلى رجل كان كبير السِّن ولكنَّه لا يحسن الوضوء، فقال أحدهما للآخر تَعال نُرشد هذا الشيخ، فقال أحدهما: يا شيخ: إنَّا نريد أنْ نتوضَّأ بين يديك حتى تنظر إلينا لتعلَم من يُحْسن منا الوضوء ممَّن لا يُحْسنه، وأظهرا أنَّهما يُريدان أنْ يوجههما بينما الحقيقة أنَّهما يُريدان أنْ يوجِّها الشيخ الكبير، وأخذا يتوضآن أمامه، وهو ينظر إليهما، فلمَّا فرغا من وضوئهما قال الشيخ الكبير لهما: أنا والله الذي لا أحسن الوضوء، وأمَّا أنتما فكل واحد منكما يُحسن وضوءه، وهكذا استطاعا دون تعنيف أو تشدُّد أنْ يوجِّها الرجل الكبير دون أنْ يكون هُناك حرج له، بل في صُورة الرِّفق والأدب العالي والذَّوق الرفيع»[2].

ويُلاحظ على هذا الموقف بعض الأُمور، منها:

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**: كتاب الصَّلاة، باب أمر النبي -صلى اللَّه عليه وسلَّم- الذي لا يتم ركوعه بالإعادة، حديث رقم: 793.

(2) **زاد الداعية**، أحمد عمر هاشم، ط دار غريب، مصر، بدون ص22.

- أنَّه راعى الشابان حالة هذا الرجل الكبير الذي لا يُحْسن الوضوء.
- أنَّه اتَّفق الشَّابان فيما بينهما سرّاً حتى لا يعلَم الشيخ الكبير أنَّهما يُريدان تعليمه؛ حرصاً على ألا تُجرح مشاعره.
- أنَّ الأُسلوب اللَّين الذي نادى به الغُلامان على الشيخ الكبير، فلم يَصِفَاه بأنَّه مُخطئ وأنَّهما على صَواب، وأنَّهما جاءا لتعليمه وإرشاده.
- أنَّهما جعلا الشيخ الكبير حَكَماً بينهما في معرفة وضوء أيَّهما صحيح، حتى يُقرِّبا الشيخ منهما.
- أنَّه صحح الشيخ الكبير وضوءه، لمّا عَلِم أنَّهما على صَواب وهو على خطأ بدون أي لوم وُجّه له.

نماذج واقعية:

ألقى أحد الدُّعاة -في إحدى الدُّول الأُوروبيَّة- مُحاضرة في صِفات اللَّه، فكان ممَّا قال: «إنَّ أهل العِلْم اختلفوا في عَدَد أصابع الله، هل هي خمس أصابع أو ست..؟ وأن رواية الدارقطني فيها: كذا وكذا، ولكن العلَّة: كذا وكذا»، والنَّاس الحُضور من الجَهْل بمكان، لا يعرفون أركان الإسلام من أركان الإيمان، ولا يُمكنهم أنْ يستوعبوا ما يُقال، بل ربَّما دفعهم هذا إلى التشكيك، واتِّهام الدَّاعية بالتجسيم، فضلاً عمَّا عليه مُعظمهم من الذُّنوب والفُسوق، وأطال وأَسْهب، وبدأ الناس يتلفَّتون، ماذا يقول الدَّاعية؟ وبدأت إدارة المَسْجد تُفكِّر بمَخْرج من هذه المُشكلة، فلا الموضوع يُناسبهم، ولا المسألة تُفيدهم، إنْ لم تكُ تُضيِّعهم أو تُنفِّرهم، وربَّما أحدث فتنة كبيرة بينهم، ثم تدخَّل أحد الدُّعاة، فأنقذ الموقف، وتكلَّم عن صِفات اللَّه بِمَا يتناسب وَوَضْع المدعوِّين ممَّا هُم فيه من الذُّنوب، وأَثَرِ الإيمان بهذه الصِّفات في الرُّجوع إلى اللَّه»[1].

(1) **منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر**، عدنان بن محمد آل عرعور، ط1، 1426هـ/ 2005م، ص87.

وهكذا كان خِطاب الدَّاعية الثَّاني، بِمَا يُناسب مَدَاركهم العقليَّة، ومُستوياتهم العِلْميَّة، وحالاتهم الواقعيَّة، فهم لا يُدركون مُصطلح الحديث، ولا يُناسبهم الكلام في الخِلافات الفرعيَّة الدقيقة، وإنَّما الذي يحتاجون إليه هو التوبة والرُّجوع إلى اللَّه تعالى، وهُم بحاجة إلى معرفة أركان دينهم، قبل حاجتهم إلى شيء آخر.

ثانياً - مُراعاة أحوال المدعوِّين الإيمانيَّة:

الدَّاعية مُكلَّف بدعوة النَّاس جميعاً فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، والمؤمنون بينهم تفاوت في قُوَّة الإيمان، والإقبال على الرحمن، الأمر الذي يُحتِّم على الدَّاعية ترتيب خِطابه، واختيار مضمونه بِمَا يتناسب مع حال المدعوِّين الإيمانيَّة؛ ليتحقَّق لهم قَبول الدَّعوة وسُرعة الاستجابة، فإنَّ لكُلّ قوم حالاً إيمانيَّة، ولكُلّ حال خِطابها الدَّعوي.

فَمِن النَّاس: من ليس عنده ذرَّة من إيمان باللَّه، ومنهم الذين مُلئت قُلوبهم إيماناً، وبينهما دَرجات ودَركات لا يَعْلمها إلا اللَّه، ومن الخطأ: أنْ يُخاطبَ الجميع بأُسلوب واحد، ومُستوى عِلْمي واحد، وأحكامٍ وحُجَج واحدة، دون مُراعاةٍ لأحوالهم الإيمانيَّة.

ولما كان لكُلّ فئة خِطاب يُناسبها، وأُسلوب وحُجَج تتوافق ومُستوى إيمانها، كان لا بدَّ للدَّاعية من مَعْرفة حالتهم الإيمانيَّة قبل مُخاطبتهم، فخِطَاب المُلحدين يختلف تماماً عن خِطاب المؤمنين المسَلِّمين لأوامر الله ﷻ، ورسوله.

وغير المُسلمين يختلفون في مُعتقداتهم، فمنهم الدهريُّون الذين لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر، ومنهم الذين يؤمنون بوجود الخالق، مع انحرافات فكريَّة، وضَلالات عقديَّة، وكذلك المُشركون باللَّه، يتفاوتون من حيث شركهم، وعداوتهم للإسلام.

فلا يجوز للدَّاعية أنْ يكون غافلاً عن أحوال المدعوِّين الإيمانيَّة هذه، فيضع -وقتئذ- الأُمور في غير محلِّها. فليس من الحِكمة أنْ يتكلَّم مع الدَّهرين

عن طاعة اللَّه ومحبَّة رسوله، والتمسُّك بالدِّين، ويحتجّ عليهم بالآيات والأحاديث، وهُم لا يؤمنون برب، ولا يُقرُّون بدين.

وهذا منهج القُرآن الكريم في خِطاب هذه الأصناف كُلّها، كلٌّ حَسَب إيمانه، وبما يُناسب تفكيره ومُعتقده فخاطب الدهريِّين بإثبات وجود الخالق، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[1].

وخاطب القرآن المُشركين بِما يُناسبهم في عقائدهم فقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[2]؛ لأنَّهم كانوا يؤمنون بوجود اللَّه، لكنَّهم كانوا يعبدون معه آلهة أُخرى، فألزمهم الله بمقتضى الوحدانيَّة أنْ لا يشركوا به؛ لأنَّ العبادة تصرف لخالق هذا الكون والمُتصرِّف فيه، ولا تصرف لغيره من المخلوقات كائناً من كان.

ثالثاً - مُراعاة النبي ﷺ لأحوال المدعو الإيمانيَّة:

والمُتتبِّع للسيرة النبويَّة يجدها لم تخرج عن هذه المنهجيَّة القرآنيَّة العظيمة، فقد خاطب الرسول كُلّ صِنف بما يُناسب إيمانه، ولا بأس بذكر نماذج قليلة على سبيل التذكير والتنبيه.

فقد كان رسول الله ﷺ يُخاطب أهل الكتاب بغير ما كان يُخاطب به كفَّار قُريش، فقد خاطب وفد نجران في أمر سيدنا إبراهيم عليه السلام أنَّه لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حنيفاً مُسلماً، وكان قد كتب لهم «أما بعد: فإنِّي أدعوكم إلى عِبادة الله من عِبادة العِباد، وأدعوكم إلى ولاية اللَّه من ولاية العباد»[3].

ولقد أثمرت مُراعاة حال المدعو ثِماراً طيِّبة، وحوَّل بعض الكافرين إلى

(1) سورة الطور، الآية: 35.
(2) سورة العنكبوت، الآية: 61.
(3) **السيرة النبوية**، لابن هشام، دار الريان للتُّراث، القاهرة، ط1، 1408هـ/ 1987م، 1/ 215.

مؤمنين، لما رأوا من حِوار هادئ، وقول حسن، وتلطُّف في الخطاب، وأدب في الاستماع، ومُراعاة لحالتهم، فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَبِي: «يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟» قَالَ أَبِي: سَبْعَةً سِتًّا فِي الأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ». قَالَ: «فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟» قَالَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ». قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فَقَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي»[1].

يستفاد من هذا الموقف أُمور، منها:

- أنَّه لم يغيّر النبي ﷺ وجْهه عند دخول حُصين، ولم يصفه النبي ﷺ بالكُفر والبُعد من رحمة الله تعالى، وأنَّ ما يعبده باطل لا ينفع ولا يضرّ.
- أنَّه خاطبه النَّبي ﷺ بأُسلوب ليِّن، فلم يكن فظّاً ولا غليظاً معه، وناقشه بأُسلوب يجعله ينطق بالحقّ في حينه.
- أنَّه انتهى الحِوار بإسلام حُصين، وانضمامه إلى صفّ المُدافعين عن دين اللَّه ﷻ بعد أنْ كان من المُحاربين للَّه ورسوله والمؤمنين.
- تلقين الدُّعاة درساً في مُراعاة العاصي من المُسلمين خاصَّة، ومن هو على غير الإسلام عامَّة، حتى يدخل الناس في دين الله أفواجاً.

وقد فَطِن كثير من الدُّعاة في العَصْر الحديث إلى مُراعاة أحوال المَدْعو لما لمسوه من أُسلوب الأنبياء مع مدعوِّيهم، وأنَّه لا يأتي إلا بكل خير، فهذا الشيخ محمد الغزالي رحمه الله كان من الدُّعاة الفاهمين لدينهم، والحريصين على جَذْب النَّاس إلى الفَهْم الصَّحيح للإسلام. قال: دخلت مكتبي فتاة لم يعجبني زيُّها أوَّل ما رأيتها، غير أنِّي لمحت في عينيها حُزناً أو حَيْرة يستدعيان الرّفق بها، وجلست تبثّني شكواها وهُمومها مُتوقِّعة عندي الخير: واستمعت طويلاً،

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات باب: 70.

وعرفت أنَّها فتاة عربيَّة تلقَّت تعليمها في فرنسا لا تكاد تعرف عن الإسلام شيئاً، فَشَرعْت أشرح حقائق، وأرد شُبهات، وأُجيب عن أسئلة، وأُفنِّد أكاذيب المُبشِّرين والمُسْتشرقين حتى بَلَغْت مُرادي أو كدْت، ولم يفتني في أثناء الحديث أنْ أصف الحَضَارة الحديثة بأنَّها تعرض المرأة لحماً يُغري العُيون الجائعة، وأنَّها لا تعرف ما في جو الأُسرة من عَفاف وجَمال وسَكينة، واستأذنت الفتاة طَالبة أنْ آذن لها بالعَوْدة، فأذنت، ودخل عليَّ شاب عليه سِمات التديُّن يقول بِشِدَّة: ما جاء بهذه الخبيثة إلى هُنا؟ فأجبت: الطبيب يستقبل المَرْضى قبل الأصحَّاء وذلك عمله: قال طبعاً نَصَحْتها بالحِجَاب: قلت: الأمر أكبر من ذلك هُناك الِمهَاد الذي لا بُدَّ منه، هُناك الإيمان باللَّه واليوم الآخر، والسَّمع والطَّاعة لما تَنَزَّل به الوحي في الكتاب والسُّنة، والأركان التي لا يوجد الإسلام إلَّا بها في مجالات العِبادات والأخلاق، فقاطعني قائلاً: ذلك لا يمنع أمرها بالحِجَاب، قُلت في هُدوء ما يَسُرّني أنْ تجيء في مَلابس راهبة، وفؤادها خالٍ من اللَّه الواحد، وحياتها لا تعرف الرُّكوع والسُّجود، إنَّني علَّمتها الأُسس التي تجعلها من تلقاء نفسها تؤثر الاحتشام على التبرُّج، وجاءتني الفتاة بعد أُسبوعين في مَلابس أفضل، وكانت تُغطِّي رأسها بِخِمار خفيف، واستأنفت أسئلتها، واستأنفت شروحي، ثم قُلت لها: لماذا لا تذهبين إلى أقرب مَسْجد من بيتكم؟ قالت الفتاة: إنَّها تكره رجال الدِّين، وما تحب سماعهم! قلت: لماذا؟ قالت: قساة القُلوب غِلاظ الأكباد! إنَّهم يُعاملوننا بِعُنف واحتقار[1].

فلينظر الدُّعاة إلى هذا الفهم الواعي لطبيعة النُّفوس البشريَّة، والرَّحمة والرّفق بالعُصاة، ومراعاة حال الذين عاشوا في وَحْل المَعْصية وهُم في غَفْلة عن الحَقِّ، وَبُعْدٍ عن جادَّة الطَّريق، ماذا تكون النتيجة لو أنَّ هذا الدَّاعية طَرَدها من مَكْتبه؟ أو لَمْ يسمح لها بالدُّخول بزيّها هذا، تكون النتيجة أنَّ أهل الباطل يتلقَّفونها لتقع في المَعَاصي، وتعيش في غي، وليتأمل الدَّعاة الفَرْق

(1) **الحق المر**، محمد الغزالي، ط. دار التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، 1414هـ/ 1994م، ص27-28 باختصار.

بين التعبيرين، ما قاله الشاب المُتديِّن -حَسَب اعتقاده- ما جاء بهذه الخبيثة إلى هُنا، وما قاله الشيخ: الطبيب يستقبل المَرْضى قبل الأصحَّاء ذلك عمله؛ لأنَّ الشيخ فهم أنَّ العاصي مريض وأين يذهب صاحب المَعْصية إذا لم يجد دُعاة يُرحِّبون به، ويُوجِّهونه الوجْهة السَّليمة؟

والمُلاحظ في كلام الشيخ يجده راعى حالها؛ لأنَّها قادمة من بلد غير إسلامي، فلم ينهرها ويطردها، بل بدأ بالأُصول الذي أسِّس عليها الإسلام، ومن خِلالها ينطلق المَدْعو إلى الحياة.

رابعاً - مُراعاة مَنْزلة المَدْعو

ومن مُراعاة أحوال المَدْعو إدراك أُسلوب مُخاطبة أصحاب المَنازل والمَناصب العُليا حَسَب مكانتهم، فلهم أُسلوب يختلف عن أُسلوب مُخاطبة العَوَام، فلا بُدَّ للدَّاعية أنْ يكون فطناً عند مُخاطبة هؤلاء حتى يستقطب قُلوبهم للحقِّ، ويغيِّر ما هم عليه من مُنكر بأُسلوب غير جارح لهم؛ بحيث يحسُّون بمكانتهم وسط النَّاس، والنَّاظر في خِطاب النَّبي ﷺ للمُلوك والرؤساء يجد أنَّه ﷺ راعى مَكَانتهم في عَصْره ﷺ، وهذا دليل واضح في مُخاطبة النَّبي ﷺ لهم ودعوتهم للإسلام، وهذا أُنموذجُ من الرَّسائل التي بَعَثها النَّبي ﷺ إليهم، «بسم الله الرَّحمن الرحيم من مُحمد رسول اللَّه إلى هِرقل عظيم الروم، سلام على من اتَّبع الهُدى، أمَّا بعد، فإنِّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم وأسلم يؤتك اللَّه أَجْرك مَرَّتين، وإنْ تولَّيت فإنَّما عليك إثم الأريسيين»[1].

فَقَد خَاطَب النَّبي ﷺ هِرَقل بأُسلوب يليق به هو وغيره من المُلوك، فنتج عن هذا الخِطاب المُراعى فيه أحوالهم، أنْ أَسْلم البعض، وأَهدى بعضهم الهدايا إلى رسول الله ﷺ؛ ليضع النَّبي ﷺ المنهج الأَسْمى للدُّعاة في مُخاطبة ذوي المكانة العُليا، حتى لا يحدث تصادم بين الدُّعاة وبين مَدْعوِّيهم.

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**: كتاب: التفسير، باب: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾، حديث رقم: 4553.

ومن ثمَّ وجب «على حامل رسالة الإسلام، الدَّعوة إلى اللَّه ﷻ، وتغيير المُنكر أنْ يُحسن مُخاطبة كُلّ ذي مُستوى، سَواء كان عِلْميّاً أم اجتماعيّاً بِمَا يُلائمه ويُلائم اختصاصه ووضعه في المُجتمع كُلّما أمكن ذلك، حتى يكون لكلامه تأثير نافع مُفيد في فكره ونفسه»[1].

وبعد أن راعى النبي ﷺ حال المَدْعو عَمليّاً أمرنا أنْ ننزل النَّاس منازلهم، فنُعطيهم حَقّهم من التقدير، فنُخاطبهم بأُسلوب يليق بمكانتهم، فعن عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»[2].

ومن أراد أنْ ينصح لذي سُلطان بأمر فلا يأمره علانيَّة، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإنْ قَبِل منه فذاك، وإلَّا كان قد أدَّى الذي عليه تُجاهه.

ومن مُراعاة أحوال المدعو -أيضاً- مُراعاة المنزلة الاجتماعيَّة، والصِّلة بين الدَّاعية والمَدْعو، فإنْ كان أباً راعى هذا الأمر، وخاطبه برفق، واختار الأُسلوب الأَمْثل، والوقت المُناسب، حتى لا يحدث صِدام بين الوالد والولد، وهذا مَثَل ساقه القُرآن الكريم للدُّعاة من باب الاقتداء بالأنبياء، والتعلُّم من منهجهم القويم، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا * إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا * قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾[3].

«لقد تلطف إبراهيم عليه السلام مع أبيه، فخاطبه بتذلل وخضوع وإشعار بارتفاع منزلة أبيه بالأبوة، فناداه بأداة النداء الموضوعة للبعيد، ووضع بدل ياء

(1) **فقه الدعوة والإرشاد**، عبد الرحمن الميداني، ط. دار القلم، دمشق، ط2 1425هـ/ 2004م، ج1، ص628 باختصار.

(2) أخرجه أبو داود في **سننه**، كتاب: الأدب، باب: تنزيل الناس منازلهم، حديث رقم: 4844.

(3) سورة مريم، الآيات: 41-47.

المُتكلِّم تاء التأنيث، التي يستعطف بها رقَّته التي يُشارك الأُم بها، فكأنَّه قال له: يا أبي الذي هو مِثْل أُمي في الشَّفقة عليَّ والرَّحمة بي، إنَّ من البر بك، أنْ أنصحك وأدلّك على الحقّ وصِراط الهُدى، وأُحذرك من عذاب اللَّه»[1].

ولقد راعى الخليل عليه السلام المَنْزلة الاجتماعيَّة في خطابه مع آزر فناداه بأُسلوب يفيض رقَّة ولِيناً وعطفاً وحناناً، خاطبه بالموعظة الحَسَنة التي إنْ دلَّت على شيء فإنَّما تدلّ على عِلْم إبراهيم عليه السلام الذي عَلَّمه اللَّه إيَّاه، فقد كان مع تلطُّفه بأبيه ولينه معه يبيِّن بالبرهان العقلي بطلان عِبادته للأصنام.

والمُلاحظ في دعوة إبراهيم لأبيه أيضاً أنَّه كان مِثالاً للابن البار بأبيه، الذي لا يُريد إلَّا الخير لأقرب الناس إليه، فلم يغلظ له القول ولم يعنِّفه في الكلام، بل خاطبه بكُلّ أدب ووقار، وجَادله بألطف عِبارة وأحسن إشارة، وخاطَبه كذلك بأحب نداء إليه (يا أبتِ) نداء كُلّه حبّ لأبيه المُشرك، ولم ينسب العلم إلى نفسه، ولم يتعالَ على أبيه، بل نسب العِلْم للَّه ربِّ العالمين.

وعندما نعقد مُقارنة بين ما دار بين خليل الرحمن وأبيه، وبين ما يحدث عند بعض الدُّعاة الذين انتسبوا إلى الدَّعوة ولم يتخلَّقوا بأخلاقها، ظنّاً منهم أنَّهم يملكون التوجيه والإرشاد نجد أنّ بعض الشباب يتَّهم أباه وأُمّه بالكُفر لفعلهما مَعْصية من المَعَاصي، ويعقّهما ويقسو عليهما، وينسب العِلْم لنفسه والجهل لهما، وربما يكسر أشياء في البيت، ويحرم على نفسه الأكل والشُّرب معهما بزعم أنَّهما يرتكبان المَعَاصي وأنَّ طعامهما حرام، وإنْ دلَّ ذلك على شيء فإنَّما يدلّ على الجَهْل الذي مُنِيَ به هؤلاء الشَّباب، وبُعْد عن منهج الإسلام الذي أمر به في نهيه عن المُنكر.

ومن مُراعاة أحوال المدعو الوقوف على حالته الاقتصاديَّة؛ لأنَّه ربَّما يكون فقيراً، فيكون الحِكم على قدر الحالة، ويكون أُسلوب التغيير مُناسباً لما

(1) **معارج التفكر ودقائق التدبر**، عبد الرحمن حسن الميداني، ط دار القلم، دمشق، ط1، 1423هـ/ 2002م، ج7، ص499.

عليه المدعو من فَقْر أو غِنَى، فما يَصلح للغَنِي لا يَصلح للفَقير، وهذا هو الذي فعله النَّبي ﷺ في حالة الرجل الذي جامع زوجته في نهار رمضان درس حالته دراسة متأنِّية حتى يُصدر حُكماً يُناسب هذه الحالة، حتى لا يُشدد عليه فينفر هذا الرجل من الإسلام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ. فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ». قَالَ وَقَعْتُ بِأَهْلِي فِي رَمَضَانَ. قَالَ: «تَجِدُ رَقَبَةً»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا»، قَالَ: لَا، قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِعَرَقٍ -وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ- فِيهِ تَمْرٌ فَقَالَ: «اذْهَبْ بِهَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ»، قَالَ عَلَى أَحْوَجَ مِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ مِنَّا. قَالَ: «اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»[1].

فالنَّاظر في هذا الحديث يجد أنَّ هذا الرجل فعل مُنكراً، فذهب إلى النَّبي ﷺ ليرشده إلى المَخْرج الذي يُخرجه من الذَّنب الذي فعله، فراعى النبي ﷺ حال هذا المدعو وتدرج به من أمر إلى أمر حتى وضع الحلّ الذي يُناسبه.

المبحث الثالث

مُراعاة الأولويَّات

من أبرز الأساليب التي تُطوِّر الخِطاب الدَّعوي مُراعاة الأولويَّات، فهو من أهم الأُمور التي يجب أنْ يُراعيها الدَّاعية عند دعوته، فعليه أنْ يعرف المُنطلق الذي يبدأ منه؛ لأنَّ العِلْم بالمُنكر وحده لا يكفي في تغيير المُنكر، بل لا بدَّ أنْ يفقه الدَّاعية لما يُقدّم وما يؤخّر في دعوته، وما هي أهم القضايا التي يُعطيها أهمِّيَّة قَبْل غيرها، وهذا ما يُسمَّى في الشَّريعة الإسلاميَّة بالتدرُّج، وهو الانتقال بالمدعوِّين من الأسهل إلى الأصعب، ومن كُلِّيَّة إلى أُخرى، ومن الكُلِّيَّات إلى الجُزئيَّات، ومن الدَّعوة النظريَّة إلى الدَّعوة التطبيقيَّة، ومن التوحيد إلى العِبادات وهكذا.

(1) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب: الهبة - باب: إذا وهب هبة فقبضها الآخر، حديث رقم: 2600.

ومعنى فِقه الأولويَّات: وضع كُل شيء في مَرْتبته بالعَدْل من الأحكام والقِيَم والأعمال، ثم يُقدِّم الأَوْلى فالأوْلى بناءً على معايير شرعيَّة صحيحة يهدي إليها نور الوحي ونور العَقْل، فلا يُقدِّم غير المُهم على المُهم، ولا المُهم على الأهم ولا المرجوح على الرَّاجح، بل يُقدِّم ما حقَّه التقديم ويؤخِّر ما حقَّه التأخير[1].

وهذا الفِقْه سار عليه النَّبي ﷺ في دعوته لقومه، والانتقال بِهم من الشِّرك إلى الوحدانيَّة، ومن شُرب الخَمْر والعَصَبيَّة والقتل إلى مُجتمع الحُب والمودَّة والوحدة والترابط؛ حيث بدأ بالعقيدة ونَبْذ الشِّرك، ولم يتعجَّل جَنْي الثِّمار، بل ظلَّت المَرْحلة المكِّيَّة كُلّها دعوة إلى العقيدة، حتى تَربى الناس على تأهيل نفوسهم لقَبول الأمر والنَّهي، بعد أنْ خالط الإيمان بشاشة قُلوبهم، فكان الأمر يأتيهم فينفِّذونه توّاً بدون تردُد.

والشريعة الإسلامية راعت الأولويَّات في التشريع والأحكام، والفُقهاء باستقرائهم عرفوا أنَّ ترتيب الأولويات سُنَّة تشريعيَّة، فبنوا عليها قواعدهم الفقهية، واحتكموا إليها، فأحرى بأهل الدَّعوة مُراعاة ذلك.

وفِقه الأولويَّات منهج إسلامي في الدَّعوة إلى اللَّه ﷻ، فيُقدِّم الدَّاعية العقيدة على العِبادة والفرائض على السُّنن، والمُحرَّمات على المكروهات، والنَّص على الاجتهاد، ودرء المفاسد مُقدّم على جَلْب المصالح، والمَصْلحة العامَّة مُقدَّمة على المَصْلحة الخاصَّة، ويُدْرأ الضَّرر العَّام قبل الضَّرر الخاصّ، ويُرْتَكَبُ أخفّ الضَّررين، وأَهْون الشَّرين مَخَافة ضررٍ أكبر وشرٍّ أخطر.

وقد راعت الدَّعوة الإسلاميَّة طبيعة النفوس حتى في مقام العِبادات التي تعود بالخير والنَّفع عليها، فلم تنزل الأحكام والعِبادات دُفعة واحدة، بل فرض اللَّه سُبحانه وتعالَى الصَّلاة، وبعدها بعامين أو أكثر فرض الصِّيام

(1) **الخلاصة في فقه الأولويات**، علي بن نايف الشحود، دار المعمور- بهائج- ماليزيا، ط1، 1430هـ/ 2009، ص3.

والزَّكاة، ثم ختم هذه الفرائض بالحجِّ، وهي في كُلّ ذلك تُراعي طبيعة البشر، وتُناسب الفطرة التي فُطِر عليها الإنسان.

وهذا المنهج عَلَّمه النَّبي ﷺ لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى أهل اليمن ليدعوهم إلى عِبادة اللَّه ﷻ، وترك عبادة الأوثان والأصنام «فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُعَاذًا قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[1].

والنَّاظر في هذا الحديث يجد أنَّ النَّبي ﷺ رسم المنهج لمعاذ بن جبل والدُّعاة من بعده ليسيروا عليه في تغيير واقع النَّاس، وينأوا بهم عن كُلّ مُحرم، ولا ينتقلوا من أمر إلَّا بعد تحقيق الأمر الأوَّل وهكذا.

يقول الإمام النووي: أعلمهم أنَّهم مُطالبون بالصَّلوات وغيرها في الدُّنيا، والمُطالبة في الدُّنيا لا تكون إلَّا بعد الإسلام، وليس يلزم من ذلك أنْ يكونوا مُخاطبين بها يُزاد في عذابهم بسببها في الآخرة، ولأنَّه ﷺ رتَّب ذلك في الدُّعاء إلى الإسلام، وبدأ بالأهم فالمُهم، ألا تراه بدأ ﷺ بالصَّلاة قبل الزَّكاة، ولم يَقُل أحد يصير مُكلَّفاً بالصَّلاة دون الزَّكاة[2].

وفي هذا المَعْنى يقول د. أحمد عمر هاشم: «فلمَّا كان معاذ بن جبل رضي الله عنه أُرسل إلى من يُقر بالإله والنبوَّات وهُم أهل الكِتَاب كان أوَّل ما يدعوهم إليه هو توحيد اللَّه تعالى، فهو يدعو إلى الإقرار والإيمان باللَّه

(1) أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب: الإيمان، باب: الدُّعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم: 132.

(2) **صحيح مسلم مع شرح النووي**، كتاب الإيمان، باب الدُّعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، 1/ 313.

الواحد، وبنبوَّة محمد ورسالته ﷺ، فلئن كان القوم مُعترفين بالإله إلَّا أنَّهم كانوا يجعلون له شريكاً، وذلك لِدَعوى النَّصارى أنَّ المسيح ابن اللَّه، ودعوى اليهود أنَّ عُزيراً ابن اللَّه، تعالى اللَّه عمَّا يقولون علوّاً كبيراً، ولعدم تصديق أولئك القوم بالرَّسول، من أجل ذلك كان أوَّل ما يدعوهم إليه هو شهادة أنَّ لا إله إلا اللَّه وأنَّ محمداً رسول اللَّه، ثم تدرَّجت بهم الدَّعوة من الإيمان إلى العمل البدني بالصَّلاة، ومن العمل البدني إلى العمل المالي بالزَّكاة وهكذا»[1].

وإحاطة الدَّاعية بفِقه الأولويَّات يمنحه بصيرة في دعوته، وتوفيقاً في تصرُّفاته، ويحفظ عليه وقته وطاقته، ويُعطيه رؤية واضحة في المنهج بعامة، والدَّعوة بخاصَّة، وتحديد نُقطة البدء من أهمِّ الأُمور التي يجب أنْ يُراعيها الدَّاعية، فلا يُطالب الكافر أنْ يخلع ثوب الحرير أو يترك شُرب الخَمْر مثلاً، وهو لم ينطق بالشهادتين، ولا ينكر على من حَلَقَ لحيته وهو يعلم أنَّه لا يُصلِّي أو لا يصوم أو لا يزُكِّي، ولا يُنكر على من أسبل الإزار، وهو يعلم أنَّه مُنغمس في الحَرام وتقليد غير المُسلمين، ولا يُنكر على المرأة التي تكشف عن وجهها طالباً منها ارتداء النِّقاب؛ لأنَّه يعلم أنَّه فرض ولا يعلم هل تُصلِّي أم لا، وهل هي تُطيع الوالدين أم لا، وكذلك لا يُطالب الدَّاعية بظواهر الأُمور ويترك التربية الداخليَّة التي تجعل من العاصي مُطيعاً للَّه بعد ذل.

وقد اتَّبع الإسلام أُسلوب «التمهيد لكمال تخلِّي المدعوِّين عن عقائدهم الباطلة وعِباداتهم الفاسدة، وعاداتهم المرذولة، وذلك بأنْ يرضوا على هذا التخلِّي شيئاً فشيئاً بسبب نُزول القرآن عليهم كذلك شيئاً فشيئاً، فكلَّما نجح الإسلام معهم في هَدْم باطل، انتقل بهم إلى هَدْم آخر، وهكذا يبدأ بالأهمِّ ثم المُهم حتى انتهى بهم آخر الأمر عن تلك الأرجاس كُلّها فطهَّرهم منها وهُم لا يشعرون بعنت ولا حَرَج، وفَطَمَهم عنها دون أنْ يرتكسوا في سابق أو

(1) **الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها**، أحمد عمر هاشم، ط. مكتبة غريب، مصر، بدون تاريخ ولا رقم طبعة، ص18.

عادة، وكانت هذه السياسة رشيدة، ولا بدَّ منها في تربية هذه الأُمة المجيدة، لا سيَّما أنَّها كانت أبيَّة مُعاندة»[1].

ولا يستطيع الدَّاعية أنْ يراعي الأولويَّات إلَّا إذا كان على علم وبصيرة بمعتقد من يدعوه وعالماً بأحواله؛ حتى يتمكَّن من كيفيَّة البَدْء بما يدعوه إليه.

وقد فطن خُلفاء الرسول ﷺ إلى فِقه الأولويَّات في دعوتهم إلى الخير، ليصلوا بالناس إلى ما أراد الله ﷻ، دون أنْ يُكرهوا الناس على فعل شيء أو تركه دون اقتناع، فقد حَدَث أنَّ عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على أبيه (ولديه حماسة وغَيْرة كما يفعل بعض شباب اليوم الذين انتسبوا إلى الدَّعوة وليسوا أهلاً لهذا الطريق، فقال: يا أمير المؤمنين ما أنت قائل لربِّك غداً إذا سألك فقال: رأيت بدعة فلم تُمتها أو سُنَّة فلم تُحيها؟ فقال أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيراً يا بُني إنَّ قومك قد شدُّوا هذا الأمر عُقدة عُقدة وعروة عروة ومتى أردت مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أنْ يفتقوا عليَّ فتقاً يكثر فيه الدِّماء، واللَّه لزوال الدُّنيا أهون عليَّ من أنْ يُراق في سببي محجمة من دم أو ما ترضى أنْ لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدُّنيا إلا وهو يُميت فيه بدعة ويُحيي فيه سُنة؟»[2].

وبعد فترة وجيزة حقَّق اللَّه تعالى لعمر بن عبد العزيز ما تمنّاه، فساد العدل في زمنه ورُفع الظُّلم، وأحيا السُّنة، وأمات البِدْعة بعد أنِ استقرَّت الدَّولة الإسلاميَّة.

«يُريد الخليفة الراشد أنْ يُعالج الأُمور بحكمة وتدرُّج مُهتدياً بمنهج اللَّه الذي حرَّم الخمر على عِباده بالتدريج، وانظر إلى تعليله المَصْلحي الرصين الذي يدلّ على عُمقه في فِقه السِّياسة الشرعيَّة: إنِّي أخاف أنْ أحمل الحقَّ

(1) **مناهل العرفان في علوم القرآن**، عبد العظيم الزرقاني، دار الكتاب العربي: بيروت، ط1، 1415هـ/ 1995م، 1/ 50.

(2) **تاريخ الخلفاء**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1371هـ/ 1952م، تحقيق: محمد محيي الدِّين عبد الحميد، ص 223-224.

على الناس جُملة فيدفعوه جُملة، ويكون من ذي فتنة، يعني أنَّه يُريد أنْ يسقيهم الحقَّ جَرْعة جَرْعة، ويحملهم على طريقه خُطوة خُطوة»[1].

ويجب على الدَّاعية أنْ يفطن لأحوال مُجتمعه، ويعلم أنَّ تغيير المُنكرات يحتاج إلى أوقات طويلة كما فعل النَّبي ﷺ في تغيير منكرات العرب؛ لأنَّ «الفساد الذي ينخر في المُجتمعات الإسلاميَّة اليوم إنَّما هو حصيلة قُرون مُتطاولة، وقد عمل على تقريره وإذاعته وتعميق جُذوره جبابرة ودهاقنة للفساد مُتتابعون! تباعدت أفكارهم واتَّحدت أهدافهم، ومثل هذا لا يُمكن أنْ يغيَّر في يوم ولا سنة، وإنَّما يحتاج إلى مُدَّة كافية تماماً يروض فيها الناس على التوحيد والإيمان الصَّادق»[2].

«إنَّ التركيز على مسائل فرعية من الشريعة بالنسبة للنَّاس أمر غير منطقي، بل مُحاولة عابثة لاستنبات البذور في الهواء، ولا يُمكن أبداً بتجميع أغصان نضرة مع بعضها في الهواء أنْ يتكوَّن منها شَجَرة ذات جُذور ضاربة في أعماق الأرض، لا بدَّ من سُلوك المنهاج الربَّاني الذي رسمه الله لهذا الخلق. فلا بدَّ من زرع البذرة في التربة، ثم تعهدها حتى تستوي قائمة على أُصولها، ثم تمتدّ بفروعها وأفنانها. وهكذا بالنِّسبة لهذا الدِّين العظيم لا بدَّ من اقتفاء السبيل الذي رسمه اللَّه لهذا الكائن حتى يحمل هذا الدِّين. لا بدَّ من بناء الأساس بغرس البِذْرة في أعماق الأرض؛ أي: غرس العقيدة في أعماق القلب، ومن هُنا: فإنَّ مُحاولة تتبع فروع الشريعة بالتفصيل والتعليل هو اشتغال بالمُهم قبل الأهم، ولا يُمكن أنْ تؤتي هذه المُحاولة أُكُلها الذي نرجو، والثِّمار التي نأمل»[3].

(1) **ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة مصر، ط1، 1414هـ/ 1993م، ص185.

(2) **الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر- أُصوله وضوابطه وآدابه**، ط1، 1995م، خالد عثمان السبت، ط. المنتدى الإسلامي، ص230-331.

(3) **العقيدة وأثرها في بناء الجيل**، عبد اللَّه عزام، دار ابن حزم، ط3، 1416هـ/ 1996م، ص12.

إنَّ فِقدان فِقه الأولويَّات يُحدث خَلَلاً بالغاً في تطوير الخِطاب الدَّعوي، ويُوقع كثيراً من الدُّعاة في اضطراب في المنهج، وتخبط في الدَّعوة، فتضيع بذلك الأوقات، وتُهدر الطَّاقات، ويُحدث ذلك أثراً سلبيّاً، وربَّما أدّى إلى نتائج عكسيَّة في دعوة من فَقَدَ ذلك.

فيجب على الداعية أنْ لا يُحاول مُخاطبة المدعوِّين دفعة واحدة؛ لأنَّ ذلك مخالف لمنهج اللَّه وسُنَّة الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، وهذا لا يمنع وجود القابليَّة عند بعض الأفراد على التحوُّل دَفعة واحدة، فمن كان عنده الاستعداد للتغيير دَفعة واحدة من دون أنْ يؤثِّر سلباً على نفسه فلا يجوز التواني في ذلك.

وعلى سبيل المِثال إذا جاء داعية إلى قوم قد تركوا الواجبات، وفعلوا المُحرمات، فلا يطلب منهم فعل الواجبات كُلّها دَفعة واحدة، ولا ترك المحرمات كُلّها دَفعة واحدة، وإنَّما يطلب منهم التوحيد ثم الصَّلاة، ثم الزَّكاة وينهى عن الكبائر كبيرة كبيرة.

وأمَّا إذا كان الرجل حديث عهد بالإسلام، أو القوم الذين ضعف إيمانهم على استعداد لتقبُّل فعل جُلّ الطَّاعات، وَترْك مُعظم المَنْهيَّات فيبلغون والحال هذه، لكن كم من امرئ أفاد أنَّه على استعداد، ثم سُرعان ما انتكس؟

وينبغي أنْ يضع الدَّاعية كُلّ شيء في نصابه الصَّحيح، فلا يؤخر ما حقَّه التقديم، أو يُقدِّم ما حقَّه التأخير، ولا يُصغِّر الأمر الكبير، ولا يُكبِّر الأمر الصغير، هذا ما تقتضيه طبيعة العمل الدَّعوي، وقوانين الكَوْن الإلهي، وما تأمر به الأحكام الشرعيَّة.

لكن الآن أكثر الخِطاب الموجود هو في حقيقته -إنْ صحَّ التعبير- ليس إلا في التحسينات، وإذا تكلَّمنا في بعض القضايا الكُبرى ربَّما الكثير مِنَّا لم يستوعبها حقّ الاستيعاب، وإنَّما أخذ منها نتفة من هُنا ونتفة من هُنا، ولهذا تجد بعض المُثقَّفين والمُفكِّرين يسخرون من كثير من الدُّعاة والخُطباء؛ لأنَّهم يتكلَّمون على قضايا هي أكبر منهم.

ومن آفات كثير من الدُّعاة غياب فقه الأولويات عن منهجهم الدعوي،

فيهتمّون بالفُروع قبل الأُصول، وبالجُزئيَّات قبل الكُليَّات، وبالمُختلف فيه قبل المُتفق عليه، وبالسُّنة قبل الفرض، وقد حدثني داعية فقال لي: لقد أخطأتُ المنهج في الدَّعوة لأنِّي بدأت بالفرع قبل الأصل، فأوّل ما خاطب مدعوِّيه أنَّه تكلَّم لهم عن أخطاء الوضوء والصَّلاة، مع أنَّهم قليلو الثقافة، لا يُحسن كثير منهم الوضوء والصَّلاة، فنتج عن ذلك إحداث فَجْوة بينه وبين مدعوِّيه، وعدم تقبُّل لخِطابه الدَّعوي، والانصراف عنه.

والناظر في أُسلوب القرآن الكريم: يجد تنوعاً عجيباً في الأُسلوب، وتفاوتاً بديعاً في التناول، ومُعالجة ناجحة لكُلّ أصناف البشريَّة، قال سيد قطب: «كان هذا القرآن يُواجه به النفوس في مكَّة، ويروِّضها حتى تُسْلس قيادها، راغبة مُختارة، ويرى أنَّه كان يواجه النُّفوس بأساليب مُتنوِّعة، تنوُّعاً عجيباً.. تارَة يواجهها بما يُشبه الطُّوفان الغامر، من الدلائل الموحية، والمؤثرات الجارفة.. وتارَة يواجهها بما يُشبه السِّياط اللاذعة تلهب الحسّ، فلا يطيق وقعها، ولا يصبر على لذعها! وتارة يواجهها بما يُشبه المُناجاة الحبيبة، والمسارَّة الودودة، التي تهوي لها المشاعر، وتأنس لها القلوب..! وتارة يواجهها بالهول المُرعب والصَّرخة المُفزعة، التي تفتح الأعين على الخطر الدَّاهم القريب..! وتارَة يواجهها بالحقيقة في بساطة ونصاعة، لا تدع مجالاً للتلفُّت عنها ولا الجدل فيها، وتارة يواجهها بالرجاء الصَّبوح، والأمل النَّدي، يهتف لها ويُناجيها، وتارَة يتخلَّل مساربها، ودُروبها ومُنحنياتها، فيلقي عليها الأضواء التي تكشفها لذاتها، فترى ما يجري في داخلها رأي العين، وتخجل من بعضه، وتكره بعضه، وتتيقَّظ لحركاتها، وانفعالاتها التي كانت غافلة عنها!.. ومِئات من اللَّمسات، ومِئات من اللَّفتات، ومِئات من الهُتافات، ومِئات من المؤثِّرات.. يطَّلع عليها قارئ القرآن، وهو يتبع تلك المعركة الطويلة، وذلك العلاج البطيء، ويرى كيف انتصر القرآن على الجاهليَّة في تلك النُّفوس العصيَّة العنيدة»[1].

(1) **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار العلم للطباعة والنشر بجدة، ط12، 1406هـ/ 1986م، 6/ 3692-3693.

ومن ثمَّ ينبغي أنْ يكون أُسلوب الدَّاعية مُتنوعاً، يتناسب وكُلّ موقف، ويتوافق مع كُلّ نفس، وما فيها من قُدُرات خَلْقية، وصفات مُكتسبة غير مُغْفِل لحال المَدْعو، ولا لصفاته الفطريَّة، ولا مزاياه الشخصيَّة.

إنَّ ترتيب الأولويَّات عند المُسلم، وتقدير الأهم فالمُهم ليس من شأن العوام وما قارب منهم من أمثالنا، بل هي مَهمّة العُلماء الثِّقات في هذه الأُمة، يقول الشيخ عبد الوهاب خلاف:

«إنَّ تقدير الضَّرورة التي يعدل بها عن حُكم النَّص، وتقدير المَصْلحة التي يُبنى عليها الحُكم فيما لا نصّ فيه يجب أنْ يكونا من اختصاص الجماعة التشريعيَّة في الأُمَّة، المُكوَّنة من العُدول ذوي البصيرة النافذة بأحكام الشَّريعة ومصالح الدُّنيا، ولا يوكل أمر واحد منهما إلى فرد أو أفراد، فإنَّ الهَوَى قد يغلب على العَقْل فيقدر الكمالي ضروريّاً، ويقدر المُتوهِّم قطعيّاً، ويقدر المفسدة مصلحة»[1].

فإذا ازدحم واجبان لا يُمكن جمعهما فقدم أوكدهما لم يكن الآخر في هذه الحال واجباً، ولم يكن تاركه لأجل فعل الأوكد تارك واجب في الحقيقة، وكذلك إذا اجتمع مُحرمان لا يُمكن ترك أعظمهما إلَّا بفعل أدناهما، لم يكن فعل الأَدْنى في هذه الحَال مُحرماً في الحقيقة، وإن سُمِّي ذلك ترك واجب، وسُمِّي هذا فعل مُحرم باعتبار الإطلاق لم يضر، ويُقال في مثل هذا ترك الواجب لعذر، وفعل المحرم للمصلحة الراجحة أو للضرورة أو لدفع ما هو أَحْرم[2].

ولقد أنكر الإمام الغزالي على أهل زمنه توجُّه جُمهور متعلِّميهم إلى الفِقه ونحوه، على حين لا يوجد في البلد من بُلدان المُسلمين إلَّا طبيب يهودي أو

(1) **مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نصَّ فيه**، عبد الوهاب خلاف، دار القلم، دبي الإمارات، ص103.

(2) **مجموع الفتاوى**، تقي الدِّين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار الوفاء، ط3، 1426هـ/ 2005م، 20/ 57.

نصراني، يُوكَل إليه عِلاج المُسلمين والمُسلمات، وتُوضع بين يديه الأرواح والعَوْرات، وتُؤخذ عنه الأُمور المُتعلِّقة بالأحكام الشرعيَّة، مثل جواز الفِطر للصَّائم، والتيمُّم للجريح، ورأيت آخرين يُقيمون معارك يوميَّة يَحْمى وطيسها من أجل مسائل جُزئيَّة أو خلافيَّة، مُهملين معركة الإسلام الكُبرى مع أعدائه الحاقدين عليه، والكارهين له، والطامعين فيه، والخائفين منه، والمُتربصين به[1].

مُراعاة الأئمَّة لفِقه الأولويَّات:

وفي نِهاية هذا المَبْحث أسوق نموذجين لِعَالِمين رُزِقا فِقهاً في تطوير خِطابهما الدَّعوي حَسَب البيئة التي عاشا فيها، وتبعاً لظُروف المدعوِّين في عصرهما، مُراعيين لفِقه الأولويَّات؛ ليقتدي بهما الدُّعاة، «ومن نظر إلى سير الدُّعاة والمُصلحين، يجد من الناحية العِلْميَّة أنَّ كلّاً منهم عُني بجانب مُعيَّن في مجال الدَّعوة والإصلاح، وقدَّمه على غيره، ووجَّه إليه جُلّ فكره وجُهده، بناءً على ما فهمه من حقائق الإسلام من ناحية، وما يراه من نقص وقُصور في هذا الجانب في الحياة الإسلاميَّة، وحاجة الأُمَّة إلى إحيائه وإعلائه وتبنِّيه»[2]. ومن أبرز هؤلاء الأئمة:

1 - الشيخ: محمد عبده.

اهتم الشيخ محمد عبده بتحرير العقل المُسْلم من أَسْر التقليد، وربطه بالمنابع الإسلاميَّة الصافية، كما قال هو عن نفسه وأهدافه: «وارتفع صوتي بالدَّعوة إلى أمرين عظيمين: الأَوَّل تحرير الفكر من قيد التقليد، وفَهم الدِّين على طريقة سَلَف الأُمَّة قبل ظهور الخِلاف، والرُّجوع في كَسْب معارفه إلى ينابيعها الأُوْلى، واعتباره من ضِمن موازين العَقْل البشري التي وضعها اللَّه لتردّ من شططه، وتُقلّل من خلطه وخبطه، لتتم رحمة الله في حِفظ نظام العالم

(1) **في فقه الأولويات**، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1421هـ/ 2000م، ص18.

(2) المرجع السابق، ص225.

الإنساني، وأنَّه على هذا الوجه يُعدّ صديقاً للعلم، باعثاً على البحث في أسرار الكَوْن، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة، مُطالباً بالتعويل عليها في أدب النَّفس وإصلاح العَمَل، كُلّ هذا أعدَّه أمراً واحداً، وقد خالفت في الدَّعوة إليه رأي الفئتين العظيمتين اللَّتين يتركَّب منهما جسم الأُمَّة: طُلاب عُلوم الدِّين ومن على شاكلتهم، وطُلَّاب فُنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم، أما الأمر الثاني فهو إصلاح أساليب اللغة العربية.

وهُناك أمر آخر كنت من دعاته والنَّاس جميعاً في عَمى عنه وبُعد عن تعقُّله، ولكنَّه هو الرُّكن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعيَّة، وما أصابهم الوهن والضُّعف والذُّل إلا بخلو مُجتمعهم منه، وما للشَّعب من حقّ العدالة على الحُكومة.. أنَّ الحاكم وإنْ وجبت طاعته هو من البشر الذين يُخطئون وتغلبهم شهواتهم، وأنَّه لا يرده عن خطئه ولا يوقف طغيان شهوته إلَّا نصح الأُمَّة له بالقول وبالفعل. جهرنا بهذا القول والاستبداد في عُنفوانه، والظلم قابض على صَوْلجانه، ويد الظلم من حديد، والنَّاس كُلّهم عبيد له أي عبيد»[1].

2 - الشيخ: محمد الغزالي

يُعد الشيخ محمد الغزالي مِمَّن عُنوا عِناية فائقة بفِقه الأولويَّات بما رزقه اللَّه تعالى من رؤية ثاقبة لما يدور حَوْله من أُمور المُسلمين، وهذا يدلّ على حركته بالدَّعوة داخل وخارج مصر، بل وفي بلاد غير المُسلمين؛ حيث لم يتوانَ عن تبليغ الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً، وقد «عُني بفِقه الأولويَّات نظراً وفكراً وشرحاً، فقد أَوْلى هذا الأمر عِناية فائقة في كُتبه، وذلك لما لمسه وعاناه في رحلته الدَّعوية من أُناس ينتمون إلى الإسلام، وإلى الدَّعوة، ولكنَّهم قلبوا شجرة الإسلام، فجعلوا جذوعها الأصلية فروعاً خفيفة، وجعلوا فروعها أوراقاً تعبث بها الرِّياح، في حين جعلوا الأوراق هي الجُذوع، التي ينبغي أنْ يتوجَّه إليها كُلّ الفكر، وكُلّ الاهتمام، وكُلّ العمل.

(1) **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده**، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، 1931، ج1، ص11-12.

وأكتفي في هذا المقام بأنَّ أنقل نصّاً عن الشيخ يُبيّن مبلغ فَهمه ووعيه بِفِقه الأولويَّات، وعِنايته بترسيخه، وإنشاء النَّظرة الشُّموليَّة المُتوازنة للإسلام، والتي تُعطي كُلّ شيء حقَّه، وتُنزله منزلته. يقول شيخنا سدَّده اللَّه في بحثه عن أسباب انهيار الحضارة الإسلاميَّة، وتخلُّف الأُمَّة الإسلاميَّة، بعد أنْ كانت الأُمة الأولى[1]، وتحت عُنوان «التصوير الجزئي للإسلام» في كتابه «الدَّعوة الإسلامية تستقبل قَرنها الخامس عشر»:

«الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شُعبة، هل هذه الشُّعب مركوم بعضها فوق البعض كيفما اتَّفق؟ هل هي كسلع اشتراها شخص من السُّوق ثم وضعها في حقيبته كيفما تيَّسر؟ لا إنَّها شعب مُتفاوتة الخطر والقِيمة ولكُلّ منها وضع عتيد في الصُّورة الجامعة لا يعدوه.

والشَّبكة التي تكوِّن شُعب الإيمان كُلّها تُشبه الخارطة الموضوعة للجهاز العامل في إحدى الوزارات أو إحدى المؤسَّسات، هُناك مديرون، وهُناك مُساعدون، وهُناك فَعلة، وهُناك مُراقبون، وبين هذه وتلك عَلاقات مرسومة ونُظم إرسال واستقبال وتنفيذ وإنتاج.

إنَّ شُعب الإيمان التي تُعدّ بالعَشَرات تُشبه السَّيارة المُنطلقة لها هيكل وإطارات وقيادة ووقود وكوابح ومصابيح وكراسٍ وغير ذلك، وكُل منها له وظيفته وقيمته.

ومنذ بدأت الثقافة الإسلاميَّة والإيمان أركان ونوافل، وأُصول وفروع، وأعمال قَلْبيَّة وأعمال جِسميَّة!

والذي يحدث عند بعض الناس أنَّ جُزءًا ما من الإسلام يمتدّ على حِسَاب بقية الأجزاء كما تمتدّ الأورام الخبيثة على حساب بقية الخلايا فيهلك الجسم كله.

وقد كان الخوارج أوَّل من أصيب بهذا القُصور العقلي أو بهذا الخَلَل

(1) **في فقه الأولويات**، يوسف القرضاوي، ص238.

الفِقهي قاتلوا عليّاً أو يتبرأ من التحكيم، وقاتلوا عمر بن العزيز أو يلعن آباءه مُلوك بني أميَّة.

وسيطرة فكرة مُعيَّنة على الإنسان بحيث تملأ فراغه النفسي كُلّه، ولا تدع مكاناً لمعانٍ أُخرى شيء لا يُستساغ»[1].

ثم وصف بعض الذين ينشغلون بالدَّعوة ولا فِقه لهم ولا عِلْم ولا دِراية بحال المدعو بأنَّهم «يُسيئون إلى هذا الدِّين ولا يُحسنون، وفيهم من يمزج قُصوره بالاستعلاء ولمز الآخرين»[2].

هذه نماذج من الدُّعاة تضيء الطَّريق لمن يَسْعى في طريق الدَّعوة، ويُبلغ رسالة الإسلام إلى العالمين.

المبحث الرابع
الإعداد الجيّد للدُّعاة

من أبرز أساليب تطوير الخِطاب الدَّعوي الإعداد الجيِّد للدُّعاة؛ لأنَّهم يقع عليهم وحْدَهم عبء التطوير، ولا يتمّ الارتقاء بالخِطاب الدِّيني إلَّا بإعداد شامل للدَّاعية من كُلّ الجوانب؛ وذلك لأنَّ الدُّعاة المُخلصين هُمُ العالمون بشرع الله ﷻ، والمُتفقِّهون في الدِّين، والعاملون بعلمِهِم على هُدى وبصيرة من فهم لكتاب اللَّه وسُنَّة رسول الله ﷺ وسَلَف الأُمَّة الصالح، الدَّاعون إلى اللَّه بالحِكْمة التي وهبهم اللَّه ﷻ إيَّاها، وهُم ورثة الأنبياء في العِلْم، وهُم حُجَّة اللَّه في أرضه على الخَلْق، وهُم أهل الحَلّ والعقد في الأُمَّة، وهُم أولو الأمر، الذين تجب طاعتهم وهُمُ المؤتمنون على مَصالح الأُمَّة، وعلى دينها ودنياها وأمنها، وهُم أهل الشَّورى الذين ترجع إليهم الأُمة في جميع شؤونها ومصالحها، وهُم شهداء اللَّه تعالى الذين أشهدهم على توحيده، وقرن

(1) **الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر**، محمد الغزالي، مكتبة وهبة، ط3، 1410هـ/ 1990م، ص60.

(2) **الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر**، محمد الغزالي، ص64.

شهادتهم بشهادته سبحانه وبشهادة الملائكة، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

«والدَّاعية وحده هو -في غالب الأَمر- الإرادة والتوجيه والمنهج والكتاب والعلم، وعليه وحده يقع عبء هذا كُلّه، وهذا يجعل العناية بتكوين الدُّعاة وإعدادهم الإعداد الكامل أمراً بالغ الأهمية وإلَّا أُصيبت كُلّ مشروعات الدَّعوة بالخيبة والإخفاق في الدَّاخل والخارج؛ لأنَّ شرطها الأوَّل لم يتحقَّق وهو الدَّاعية المُهيَّأ لحَمل الرِّسالة، ومن هُنا كان لا بدَّ للدَّاعية الذي يُريد أنْ ينتصر في مَعْركته على الجَهْل والهَوى والتسلُّط والفساد أنْ يتسلَّح بأسلحة شتَّى لازمة له في الدِّفاع والهجوم»[2].

وإذا كانت الدول تطور من أدائها لمستقبلها فتضع خططاً تعليميَّة وسياسيَّة واقتصاديَّة، لتضمن لها الرقي والتقدُّم، وتنأى بأفرادها عن التخلُّف وهذا أمر طيب، فمن باب أولى أن تضع الخطط لتطويره الدعوة حتى يتسنى لها النجاح؛ لأنَّه بنجاح الدعوة تنجح كل مخططات الشعوب؛ لأنَّ الداعية غالباً هو صاحب الكلمة المؤثرة في المجتمع، وهو الذي ينهض بالمجتمع نحو الرقي والتقدُّم، ويدفعه إلى الأمام، لكن كيف يتم إعداد الدعاة حتى يطور خطابه الدعوي، ويسمع له ويقل الفساد ويرتفع العدل، وينخفض الظلم، ويسعد الناس بالإسلام في كُل مناحي الحياة؟

إنَّ هذا الإعداد يشمل جوانب عدة كُلّها متكاملة، لا يصح أن نهتم بجانب ونغفل الجوانب الأُخرى؛ لأنَّها سلسلة من الحلقات إذا فقدت واحدة منها لا يصلح الباقي وهذه الحلقات هي:

أوَّلاً - الإعداد العلمي

لا يقلّ الإعداد العِلْمي عن غيره من جوانب الإعداد، حتى يتواكب الدَّاعية مع تطوُّرات العَصْر، ومُخاطبة كُلّ المدعوِّين بِلُغاتهم المُختلفة

(1) سورة آل عمران، الآية: 18.

(2) **ثقافة الداعية**، يوسف القرضاوي، ط. مكتبة وهبة، ط10، 1416هـ/ 1996م، ص4.

وثقافاتهم المُتباينة، ودياناتهم المُتعدِّدة؛ وذلك لأنَّه عندما يتسلَّح بسلاح العِلْم والمعرفة فإنَّه يُقارع الحُجَّة بالحُجَّة والدَّليل بالدَّليل، وينفي الزَّيف عن أُصول الإسلام، ويُفنِّد شُبهات الأعداء التي يُردِّدونها ليل نهار لِصَرف النَّاس عن الدخول في الإسلام، وإيجاد العقبات أمام الدُّعاة للتفرُّغ لدعوتهم، ومن أجل ذلك عُني الإسلام بالعِلْم عِناية فائقة؛ حتى ينجو الدَّاعية ومُجتمعه من الخَوْض في الباطل، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

ومن المُسلَّم به لدى ذوي العُقول والبصائر أنَّ الذي لا عِلْم عنده ولا ثقافة لن يُعطيَ غيره؟ وكيف ينفع أُمَّته؟ وكيف يُطوِّر خِطابه الدَّعوي؟ وكيف يقوم بدور البناء والتغيير؟ وكيف يكون مَحل ثقة النَّاس واحترامهم إذا عُرف في الأُمَّة أنَّه جاهل لم يتثقَّف ولم يتعلَّم؟ وفاقد الشيء لا يُعطيه، ومن لم يملك نِصاب الزَّكاة فكيف يُزكِّي؟

«إنَّ الذين يحملون أمانة الدَّعوة إلى اللَّه تعالى، ويؤدونها على هُدى وبصيرة في حَاجة ماسَّة إلى التزود بالثقافات اللَّازمة في العَصْر الحديث، حتى يتمكَّنوا من أداء الأمانة على الوجْه الأكمل، للوصول إلى الهَدَف الأمثل، ألَا وهو هِداية النَّاس إلى صِراط اللَّه المُستقيم؛ لأنَّه طريق الرشاد والفلاح في الدُّنيا والآخرة»[2].

فينبغي للدَّاعي أنْ يتثقَّف، وأنْ يتزوَّد بالعلم النافع المُعين له على أداء رسالته، قبل أنْ يُمارس الدَّعوة إلى اللَّه، حتى تكون دعوته ناجحة، وخِطابه مؤثراً، فلا يقول إلا حقّاً، ولا يأمر إلا بِحقّ، ولا ينهى إلا عن باطل بوعي وإدراك لما يدعو إليه، ومن جوانب الإعداد العِلْمي ما يلي:

(1) سورة التوبة، الآية: 122.

(2) **الدعوة إلى الله على بصيرة**، عبد النعيم محمد حسنين، ص73.

أ - تعلُّم لُغة المدعوِّين

إنَّ من البيان المطلوب أنْ يُخاطب الدَّاعية القوم بِلُغتهم؛ لأنَّهم يكونون في هذه الحالة أقدر على السَّماع، وأقوى على الفَهم، وقد بعث الله ﷻ كُلّ رسول إلى أُمَّته بِلُغتها، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1].

وقد كان النبي ﷺ يُخاطب العرب كُلّاً بلهجته، وهذا يتَّفق مع الحِكمة والموعظة الحَسَنة، والمُجادلة بالتي هي أحسن؛ ولذا أصبح واجباً على الدُّعاة -وخاصَّة الذين يُبتعثون إلى خارج بلادهم- أنْ يتعلَّموا لُغة القوم الذين يُرسلون إليهم ليقتدروا على مُخاطبتهم بلُغتهم، ويستطيعوا أنْ يتواصلوا مع النَّاس مُجيبين عن أسئلتهم دون مُترجم بينهما؛ وترجع أهمِّيَّة تعلُّم الدَّاعية لُغة المدعوِّين أنْ يأمنوا مَكْرهم، وينجوا من شَرِّهم، وقد فعل هذا رسول اللَّه ﷺ، فعن خارجة بن زيد رضي الله عنه أنَّ أباه زيداً رضي الله عنه أخبره أنَّه لما قدم النبي ﷺ المدينة قال زيد: ذهب بي إلى النبي ﷺ فأعجب بي فقالوا: يا رسول الله هذا غُلام من بني النَّجار معه ممَّا أنزل الله عليك بضع عشرة سُورة، فأعجب ذلك النَّبي ﷺ وقال: يا زيد تعلم لي كتاب يهود فإنِّي واللَّه ما آمن يهود على كتابي، قال زيد فتعلَّمت كتابهم ما مرَّت بي خمس عشرة ليلة حتى حَذقته وكنت أقرأ له كُتبه إذا كتبوا وأجيب عنه إذا كتب[2].

ولا تتحقَّق هذه المعرفة إلَّا بعقد دورات تدريبيَّة للدُّعاة المُرسلين إلى البلاد الغربيَّة لتعلُّم لُغة هذه البلاد حتى يُتقن الدَّاعية لُغة هؤلاء القوم، ويقوم بالتدريس في هذه الدورات أساتذة مُتخصِّصون في العلوم الشرعيَّة باللُّغات المُختلفة؛ حتى يُطوِّر الدَّاعية خِطابه الدَّعوي، ويُصحِّح صُورة الإسلام التي شُوِّهت في الغرب.

(1) سورة إبراهيم، الآية: 4.
(2) **مسند الإمام أحمد**، ج35، ص490، ح21618.

ومعرفة الدَّاعية «باللُّغات العالميَّة في العصر الحديث أمر بالغ الأهمِّيَّة بعد أن تقدَّمت وسائل المواصلات وتقاربت المَسَافات بين الشُّعوب، وتطوَّرت وسائل الإعلام، وتعدَّدت أنواعها فاختلطت الثقافات، فأصبح من الميسور الإلمام بما يحدث في أي جُزء من أجزاء العالم ساعة حُدوثه... ولذلك فإنَّ إلمام الداعي إلى اللَّه بهذه اللُّغات أمر ضروري ومُفيد له في دعوته إلى اللَّه على بصيرة»[1].

وعن ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «قال لي رسول الله ﷺ: أتُحْسِن السّريانيَّة؟ قلت: لا، قال: فتعلَّمها، فإنَّه تأتيني كُتب، قال: فتعلَّمتها في سبعة عشر يوماً»[2].

ب - الثقافة الواقعيَّة:

من لوازم تطوير الخِطاب الدَّعوي اطِّلاع الدَّاعية على ثقافة المُجتمع، سواء ما يتعلَّق بالعلوم الإسلاميَّة أم التاريخيَّة، أم الإنسانية، أم الثقافية، ولا غِنى له عن دراسة الواقع المعيش، ومعرفة بيئة المدعوين ودياناتهم ومذاهبهم، دراسة الواقع الإسلامي وغير الإسلامي؛ حتى يتسنَّى له دعوة كُلّ فرد حَسَب مُعتقداته، فمُخاطبة المسلم غير مُخاطبة الشيوعي، ودعوة المُلحد غير دعوة عُبَّاد البقر، ودعوة البهائي غير دعوة الصهيوني، وهكذا تختلف أساليب الخِطاب من فردٍ لآخر.

ولا يستطيع الدَّاعية أنْ يُطوِّر خِطابه الدَّعوي وسط المُسلمين وغير المُسلمين إلَّا إذا أحاط بما لديهم من ثقافات ومُعتقدات، حتى يؤسس آراءً وأحكاماً بناءً على هذه الدراسة، وأوَّل ما يُعنى به الدَّاعية في الثقافة الواقعيَّة:

(1) **الدعوة إلى الله على بصيرة**، عبد النعيم محمد حسنين، ص89.

(2) **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ/ 1993م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط بـ ذكر زيد ابن ثابت، ح7259.

1 - واقع العالم الإسلامي:

وذلك بدراسة أحواله الاقتصاديَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة، باحثاً عن أسباب تخلُّفه وعوامل نهوضه، ومُشكلات كُل مُجتمع من المُجتمعات وأسباب هذه المشكلات وعوامل التغلب عليها، مُسلطاً الضَّوء على مُشكلات الأقليات الإسلاميَّة في البلاد التي فيها مُسلمون وغير مُسلمين؛ حتى إذا أرسل داعياً إليها يكون على وعي لهذه المُشكلات، وكيف يسعى لحلِّها، والتقريب بين المُسلمين وغيرهم من أصحاب الدِّيانات المُحرفة - اليهوديَّة - النصرانيَّة - أو الأديان الوضعيَّة، كالهندوسيَّة والزرادشتيَّة والماسونيَّة؛ حتى لا يكون الدَّاعية بمعزل عن مُجتمعه، مُسايراً للعصر، فلا يَجْمد في دعوته على أُسلوب واحد، أو ثقافة بعينها.

2 - واقع القِوى المعادية للإسلام:

تعيش طوائف وأديان ومِلل ونِحَل كثيرة في العالم اليوم، تتمثَّل في اليهودية العالمية والصليبيَّة والشيوعيَّة الدوليَّة، فلا بدَّ من دراسة الأسباب والدوافع وراء كيدها للإسلام والمُسلمين، والحِقْد والطمع والخَوْف، ووسائلها السياسيَّة والاقتصاديَّة والفكريَّة، وخُطورة هذه الحَرْب وأساليبها وأجهزتها، وأهمّها: التبشير بمؤسَّساته وإمكانيَّاته الهائلة، والصِّراع بين التبشير والإسلام في أفريقيا، والتخطيط لتنصير البلاد الكبرى كإندونيسيا، والاستشراق أهدافه ووسائله، وكتابات المُستشرقين عن الإسلام ومَدَى عالميتها، ثم سُموم الفكر الاستشراقي وآثارها في عالمنا العربي الإسلامي.

الغزو الشيوعي عن طريق الخُبراء والمُساعدات والمؤسَّسات الثقافيَّة، والبعثات التعليميَّة والتدريسيَّة إلى البلاد الشيوعية، وتأييد الأحزاب الشيوعيَّة في الداخل بالتمويل والتوجيه[1].

والتغريب الذي تدخَّل في كُلّ شؤوننا العامَّة والخاصَّة، وخُدِع به كثير

(1) **ثقافة الداعية**، يوسف القرضاوي، ص120.

من أبناء المُسلمين، والصهيونيَّة العالميَّة، وكيف تسلَّلت إلى العالم الإسلامي، وكيف خَطَّطت للسَّيطرة على الإعلام والاقتصاد العالمي، وكيف تمَّ التخطيط للسَّيطرة على فلسطين وزرع دولة إسرائيل فيها، لتكون نُقطة انطلاق للصهيونيَّة، والتَّجسُّس على العالم الإسلامي، وكيف استغلَّت الرشوة والعنف والإرهاب في تحقيق أهدافها.

3 - الثقافة التاريخيَّة:

ممَّا لا شك فيه أنَّ كُلّ مُجتمع من المُجتمعات له تاريخ سجل بالأحداث الدِّينية -أي: ما يدين به هذا المُجتمع-، والثقافيَّة؛ أي: ثقافة هذا المُجتمع هل هي مستمدَّة من الإسلام، أم ثقافة استمدَّت من الفلسفات المادِّية التي تنكر وجود اللَّه تعالى ولا تقترن بدين ولا خلق ولا قِيَم ولا مبادئ؟ وهذا التاريخ هو الذي سجل فيه كُلّ أحداث المُجتمع، وموقفه من أصحاب الدَّعوات.

والدَّاعية الذي يَسْعى لتطوير خِطابه الدَّعوي لا تكفيه الثقافة الإسلاميَّة وحدها، ولكنَّه بحاجة إلى ثقافة تاريخيَّة تُعينه على فهم تاريخ المُجتمعات البشريَّة ليفسِّر أحداث الحاضر من خِلال تاريخ ماض، ولكن ما هي الفائدة المرجوة من دراسة الدَّاعية للثقافة التاريخيَّة؟

1 - «أنَّه يوسِّع آفاقه ويُطلعه على أحوال الأُمم، وتاريخ الرِّجال، وتقلُّبات الأيام بها وبهم، فقد يرى الإنسان بعين بصيرته كيف تعمل سُنن اللَّه في المُجتمعات بلا مُحاباة ولا جَوْر؟ كيف تَرْقى بالأُمم وتهبط؟ وكيف تنتصر الدَّعوات وتنهزم؟ وكيف تحيا الحضارات وتموت؟»[1]، فيأخذ الدَّاعية هذا الفهم ليسقطه واقعاً عمليّاً في دعوته، ويوضِّح للمدعوِّين أسباب النَّصر وأسباب الهزيمة.

2 - «أنَّ التاريخ أصدق شاهد على ما يدعو إليه الدِّين من قِيَم ومفاهيم، فهو

(1) **ثقافة الداعية**، يوسف القرضاوي، ص88.

مرآة مصقولة تتجلَّى فيها عاقبة الإيمان والتَّقوى، ونِهاية الكُفر والفُجور، وجزاء الشاكرين»[1] لنعمة اللَّه، وعُقوبة الكافرين بها، وكيف يجني من يغرس الخير، ويَحْصد من يزرع الشُّوك ومن هذا المُنطلق يسير الدَّاعية في دعوته، مُذكراً النَّاس بكُلّ هذه المعاني، مُستشهداً بآيات القُرآن الكريم، وقَصَص الأنبياء، ليُثبت للمؤمنين الصَّادقين، ويُزَلْزل أركان المُعتدين، ويُذَكِّرهم بزوال ما هُم فيه من نعيم كَمَا حدث لقارون وفرعون وهامان وهؤلاء الذين أفسدوا في الأرض، فهانوا على اللَّه تعالى ولم يبال الله بهم حين أغرق فرعون، وخَسَف الأرض بِقَارون، وأرسل إلى عاد الرِّيح العاتية، وأخذ ثمود بالصَّيحة وهكذا.

3 - «إنَّ الثقافة التاريخيَّة تعين الدَّاعية على فَهْم الواقع المُماثل، ولا سيَّما إذا تماثلت الظُّروف وتشابهت الدوافع، وهذا ما جعل العرب قديماً يقولون: ما أشبه اللَّيلة بالبارحة»[2].

فالتاريخ يُعيد نفسه، وتَتشَابه المُعارضة، وتتكرَّر النماذج الإيمانيَّة، وكأن السابق من المؤمنين والكافرين يوصِي من يأتي من بعده بما يعتقد، وهذا ما سجَّله القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[3].

وهذا ما دفع قوم شُعيب أنْ يكفروا برسالته، ولا يقرُّوا بوحدانيَّة اللَّه تعالى مُقلِّدين آباءهم، سائرين على دربهم قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[4].

(1) **ثقافة الداعية**، يوسف القرضاوي، ص88.
(2) السابق، ص89.
(3) سورة البقرة، الآية: 118.
(4) سورة هود، الآية: 87.

ثانياً - اليُسر المادي

ممَّا لا شكّ فيه أنَّ المال جُزء من مقوِّمات الحياة، فهو يسد جانباً من جوانبها، ويؤدي دوراً بارزاً في سدِّ فراغات كثيرة في حياة الفرد عامَّة والدَّاعية خاصَّة ممَّا يجعله لا يُشغل بسدِّ مُتطلَّبات أُسرته ومن يعول، ويجعله في مُقدِّمة المُنفقين في وجوه الخير، إنْ دعا إلى مِثل هذه الأُمور، ويجعله كذلك لا يتردَّد في السفر إلى أماكن يطلب فيها العِلْم، أو ينشره فيها؛ لأنَّ سَفَره هذا يكلفه إنفاق جُزء من ماله، فإنْ كان في عُسر شقَّ عليه هذا الأمر، والدُّعاة يقومون بأسْمَى عمل يؤدِّيه بشر، ويقصدون أشرف غاية وهدف، فهم يحملون دين اللَّه، ورُسل السَّعادة للبشريَّة، يُحاربون الفَوْضى، ويُعادون الفساد، ويقفون في الخَطِّ الأوَّل أمام أعداء اللَّه يتصدّون لكيدهم، ويهزمون مَكْرهم، لذا كان من التخطيط لتطوير الخِطاب الدَّعوي أنْ يتَّجه الدَّاعية «إلى الدَّعوة وحدها، ويجب أنْ يجد كُل ما يُسهل له أمرها من كتاب أو صحيفة، ولا يصحّ أبداً أنْ يترك في مرحلة التكوين في مَعْمَعَة الحياة يُغالبها فتغلبه أو يغلبها؛ لأنَّ ذلك يُضيِّع وقته، ويفقده أهم ما يجب الاستفادة منه وهذا الواجب يتحقَّق بإحاطته بيسر مادِّي يُمكنه من الحُصول على حاجيَّاته، ويقضي له لوازمه من مأكل ومَشْرب، كَمَا أنَّ اليُسر المادِّي للدَّاعية دافع إلى الاهتمام بما يقول ويفعل؛ لأنَّ النَّاس جُبلوا على احترام القُوَّة، والإعجاب بالغِنى والجَاه، وعدم إعطاء الدَّاعية هذا العامل المؤثِّر ضرر بالدَّعوة في الوقت نفسه حتى تهيأ للمدعو إلى دين الله تعالى»[1].

والمُلاحظ لوسط مُجتمع الدُّعاة يجد بعض الدُّعاة رُزق علماً غزيراً، وأخلاقاً حَسَنة وموهبة فَذَّة، ولكنَّه لم يجد ما يُنمِّي هذه الموهبة فعاش فقيراً يجري وراء لُقمة العيش، وتوفير الحياة البسيطة لنفسه وأُسرته، فانشغل بحرفة أو صناعة ليسد حاجته اليوميَّة، فانعكس ذلك عليه وعلى تطوير خِطابه

(1) **الدعوة الإسلامية أُصولها ووسائلها**، أحمد غلوش، ط دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1987، ص437-438.

الدَّعوي، فلم يجد وقتاً كافياً يخصصه لدعوته ليُخطِّط لها، ويُقدِّم لها خير ما عنده، فضيَّع على نفسه التفرُّغ لدعوته أوَّلاً، وضيَّع على المدعوِّين الاستفادة العِلْميَّة منه ثانياً، ومن ثَمَّ ضَعُف الأداء الدَّعوي، وهَبَط مُستوى الدُّعاة، ونهض الأعداء ليُخطِّطوا للقضاء على الدَّعوة الإسلاميَّة.

ومن اليُسر المادِّي مَنَح الدُّعاة السَّكن المُناسب الذي يَسْمح بالاستقرار العائلي والهُدوء النَّفسي، ويَسْمح لهم باستقبال أصحاب الحاجات، وطُلَّاب المعرفة، وذي المقاصد المُختلفة؛ لأنَّ عمل الدَّاعية لا يتعيَّن بوقت أو مكان، ويجب أن يكون مُستعدّاً لمُلاقاة المدعوِّين كلَّما جاز ذلك[1].

ومن اليُسر المادّي «تيسير وسائل الانتقال للدُّعاة على أنْ تكون على وجهٍ لائق، مُناسب للبيئة التي يعيشون ويتحرَّكون فيها»[2].

ومن اليُسر المادِّي منع الدُّعاة من القِيام بعمل آخر غير الدَّعوة، وما دام قد يُسِّرت لهم الحياة الكريمة، والكَسْب الحَلال فلا حاجة بعد ذلك لأي عمل[3]، وكُلّ ذلك يُفرغ الدَّاعية لأداء دعوته وتطوير خِطابه الدَّعوي بما يتناسب والبيئة المُحيطة به.

وممَّا يُدمع العين ويُحزن القلب أنَّ بعض المُجتمعات تتعمَّد إفقار الدُّعاة، وفي الجانب الآخر سدِّ حاجة فئاتٍ كثيرةٍ من المُجتمع فضاع الداعية وسط الناس، وهذا نتيجة عوامل خارجيَّة تَسْعى للحدِّ من نَشْر الدُّعاة، وتحقيق كُلّ داعية ما يتمنَّاه لدينه ومُجتمعه، فصار الدَّاعية من أفقر الناس في مُجتمعه حتى قلَّت هيبته بين الناس، فَشُغِل بهمَّين: هَمُّ معيشته، وهَمُّ دعوته، فضيَّع الاثنتين، فلم يسدُّ حاجته، ولم يُحقِّق النجاح لدعوته.

ولا يقتصر اليسر المادي على جانب الدُّعاة فقط، وإنَّما يمتد إلى أجهزة

(1) كيفيَّة إعداد الدَّاعية، أحمد غلوش، **مجلة الجامعة الإسلامية** بالمدينة المنورة، ع36، ص294.
(2) السابق، ص295.
(3) السابق، ص295.

الدَّعوة التي يستعين بها في تطوير خِطابه الدعوي، فإذا أردنا رسم خُطَّة للدَّعوة الإسلاميَّة فينبغي أنْ يكون تمويلها بالقَدْر الكافي لإنجاحها، وتمكينها من مواجهة أجْهزة الغزو الفِكْري ووسائله الكثيرة، وحتى يستطيع جِهاز الدَّعوة الإسلاميَّة الصُّمود في معركة الصِّراع، وحتى تُطوِّر أسلحتها ووسائلها، وتكيِّف نفسها بالأساليب المُناسبة في حرب المواجهة الفكريَّة المُستخدمة في العصر الحديث[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[2].

«والقِيام بأعمال الدَّعوة ومُتطلباتها، مثل إيجاد الدُّعاة الصَّالحين للعمل الدَّعوي وتفرُّغهم لهذا العمل، وتنقلهم في أنحاء القِطر وفي خارجه للدَّعوة إلى الإسلام، وطبع النَّشرات وإصدار المجلَّات والكُتب لتبليغ الإسلام، وشرح أنظمته ورد الشُّبهات والافتراءات عنه، كُلّ هذا وغيره من مُتطلِّبات الدعوة يحتاج إلى مال، وأنَّ ما بيد الدُّعاة من المال لا يسدّ حاجات الدَّعوة، وهذا يُبطئ حركة الدَّعوة، ويُقلِّل نشاطها»[3]. ويبعد ثمرتها؛ لذا وجب على كُلّ دولة إسلاميَّة أن تُخصِّص جُزءًا مُعيَّناً من ميزانيَّتها للمؤسسات الدَّعويَّة، وسدُّ حاجات الدُّعاة، إذا أرادت أنْ ترتقي بالدُّعاة وتُكَلَّلَ الدعوةُ بالنَّجاح.

الخاتمة:

أوَّلاً - النتائج:

1 - الخطاب الدَّعوي في وضعه الراهن يمرّ بحالة من الضَّعف والفُتور يجعل الحَاجَة ماسَّة إلى ضَرورة تطويره.

(1) **الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة**، عبد النعيم محمد حسنين، ص296. بتصرُّف.
(2) سورة الأنفال، الآية: 36.
(3) **أصول الدعوة**، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط بيروت-لبنان، ط1، 1425هـ/ 2005م، ص480.

2 - يعتمد الخِطاب الدَّعوي الناجح على مُخاطبة المدعو بلُغة يفهمها دون المساس بجوهر الإسلام.

3 - من سِمات الخِطاب النَّاجح أنْ يكون مُعبِّراً عن الإسلام بحُريَّة تامَّة، ويُوضح للغرب سماحته وسماحة رسوله.

4 - الخطاب الدَّعوي النَّاجح هو الذي يتواكب مع المُستجدَّات العِلْميَّة، ويستطيع إحداث تغيير في المدعوِّين.

5 - مُراعاة حال المدعو من أوَّليات تطوير الخِطاب الدَّعوي، في الوقت الذي غفل بعض الدُّعاة عن واقع مُجتمعهم.

6 - سَعْيُ الدَّاعية إلى فِقه الأولويَّات دليل على حِرصه على تطوير خِطابه، والنُّهوض به ليواكب التقدُّم العلمي.

ثانياً - المقترحات:

1 - ضرورة التنسيق بين المؤسسات العاملة في مجالي الدَّعوة والإعلام لوضع استراتيجيَّة لتطوير الخِطاب الدَّعوي الموجَّه للجماهير داخليّاً وخارجيّاً.

2 - أنْ يقوم بإعداد وتقديم البرامج الدِّينيَّة في وسائل الإعلام مُتخصِّصون، على درجة عالية من الكفاءة.

3 - تأهيل مُقدِّمي البرامج الدِّينيَّة بشكل جيِّد، والتحدُّث بوضوح وبدون غُموض حتى لا يَحْدث خَلْط في الفَهْم.

4 - اختيار العُلماء والدُّعاة الذين يَحْظون بثقة الجُمهور وقَبولهم، ولديهم القُدرة على جذب الانتباه، وتسهيل لُغة الحِوار، وربط القضايا الدِّينيَّة بقضايا الحياة، وإتاحة أكبر قَدْر من الحُريَّة لمُناقشة كافَّة القضايا المُعاصرة.

5 - أن يكون الخِطاب الدَّعوي واضحاً وسهلاً وميسّراً وجذَّاباً، ومتمشِّياً مع صحيح العِلْم، ومواكباً للتقدُّم الذي يشهده العالم، وقائماً على الحِوار والثقافة السَّمْحة.

6 - إنَّ الإعداد التربوي والعِلْمي والفِكْري والأخلاقي للدُّعاة سبيل لتطوير الخِطاب الدَّعوي، فبدونهما لن تقوم قائمة للدَّعوة خارج وداخل بلادها.

7 - لن يستطيع الدَّاعية أنْ يُطوِّر خِطابه الدَّعوي إلَّا بالتفرغ لدعوته، وذلك بالدَّعم المالي الكافي لتحمل أعباء ونفقات أُسرته حتى لا ينشغل عن أداء رسالته.